مصائد الإنسان من مكائد الشيطان

للشيخ الإمام تقي الدين أبي اسحق إبراهيم ابن العلامة
أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي قدس
الله روحه ونور ضريحه آمين

(حقوق الطبع محفوظة)

الناشر
علي رحمي
١٩٨٠م

دار مرجان للطباعة
٢١ شارع فوزي المنفرع من شارع الموازدي بالتصر العيني
تليفون: ٩٨٦٥٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العـــالم العلامة الربانى إمام الأئمة ومفتى الأمة وبحر العلوم سـيد الحفاظ وفارس المعانى والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر شيخ الاسلام بركة الأنام علامة الزمان وترجمان القران علم الزهاد وأوحد العبـاد قامع المبتدعين وآخـر المجتهدين تقى الدين أبو اسحق ابراهيم ابن الشيخ الامام العلامة أبى عبد الله محمد بن مفلح المقدسى الحنبلى قدس الله روحه ونور ضريحه آمين يارب العالمين .

الحمـد لله العزيز الحـكيم الذى قضى فأسقم الصحيح وعافى السقيم قسم عباده إلى قسمين طائع وأثيم وجعل مآلهم إلى دارين دار النعيم ودار الجحيم فمنهم من عصمه من الخطايا فكأنه فى حريم ومنهم من قضى عليـه أن يبقى على الذنوب ويقيم . ومنهم من تردد بين الأمرين والعمـــل للخواتيم خرج موسى راعياً فعاد وهو كليم وذهب ذو النون مغاضباً فالتقمه الحوت وهو مليم وكان محمـد ﷺ يتيما فصـــار الـكون لذلك اليتيم وعصى آدم عليه السلام وابليس فهذا مرحوم وهـذا رجيم فاذا سمعت نبيـل المهالك أو رأيت وقوع المهالك فقل ذلك تقدير العزيز العليم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وهو العليم الحـكيم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أخـذ له الميثاق على الأنبيـاء وبشر عيسى بفضائله وقال ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد رءوف رحيم وبه توصل آدم عليه السلام وقد اسجد له من أسجد من كل ملك كريم صلى الله عليـه وعلى آله وأصحابه ما سلك الطريق القويم وما لاح برق أو هب نسيم .

أما بعد : فان السعادة كل السعادة فى تقوى الله والشقاء كل الشقاء فعل

الذنوب ومعصية الله فانه قد جاء عن على رضى الله عنه من جواهر الكلام العبد لا يرجو إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه وما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة .

ذكر البيهقى عن على ابن أبى طالب قال : خمس لو سافر فيهن رجل إلى اليمن كن له عوضاً عن سفره لا يخشى عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحى إذا لم يعلم أن يتعلم ولا يستحى إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد . قال البيقى قال على بن أبى طالب ما أحلاها وأبردها على الكبد يكررها ثلاثا قالوا وما ذاك يا أمير المؤمنين قال أن يسئل الرجل عما لا يعلم فيقول الله أعلم وقال ابن عباس إن للحسنة لنوراً فى القلب وضياء فى الوجه وسعة فى الرزق وقوة فى البدن ومحبة فى قلوب الخلق وإن للسيئة لسواداً فى القلب وظلمة فى الوجه وضيقاً فى الرزق ووهنا فى البدن وبغضاً فى قلوب الخلق . انتهى . وكل مؤمن يجد ذلك من نفسه على قدر حاله .

قال الحسن : لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه .

قال سميط بن عجلان : الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطوال الغفلة ثم راجع بتوبة فهذا صاحب يمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم أبذل فيه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال فقلت يا نفس تداركى أمرك قبل مغيب شمس الحياة وأقلعى عما أنت فيه من الرياء والركون إلى الدنيا وطلبها ومحبتها واقتصدى بما أنت فيه وجه الله وا كثرى من العمل بما علمت فانه من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم والعلماء همتهم الرعاية والسفهاء همتهم الرواية وبينا أنا فى ذلك إذا أرسل إلينا بعض قضاة حلب فى قضية حادثة تتضمن أن شخصاً شريفاً وقع منه أمور تقدح فى الايمان

وتوجب الكفر بالرحمن فقلت لا إله إلا الله إن الشيطان لبنى آدم بالمرصاد وكنت إذ ذاك أتكلم على قوله تعالى أن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريداً لعنه الله قالوا من كل ألف واحد لله وتسعمائة وتسعة وتسعون للشيطان وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فأخذت بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وفى بيان وسوسته وخدعه وكشف أموره لينتفع بها اخوانى كما انتفعت وأحببت أن أظهر أمره وأشرحه فانه عدو مشاهد فيحذره المؤمن وأن أكتب لك ما أقدرنى الله تعالى عليه أعاذنا الله منه بمنه وكرمه ورتبت الكلام فى ذلك على فصول (الفصل الأول) فى الاستعاذة وأحكامها (الفصل الثانى) فى وسوسة الشيطان للأبوين (الفصل الثالث) هل له سلطان على بنى آدم أم لا الفصل الرابع) فى التحصن من الشيطان بذكر الله تعالى (الفصل الخامس) عقده على قافية ابن آدم كل ليلة (الفصل السادس) ، أكل الشيطان وقيئه وبوله (الفصل السابع) ذكر عقبات الشيطان السبع وفيه الكلام على حديث من خلق (الفصل الثامن) فى بكاء الشيطان (الفصل التاسع) فى رنة الشيطان وندائه ليلة البيعة للعقبة وتصوره بصورة شيخ نجدى فى وقت الهجرة والكلام على قوله تعالى « وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم ، (الفصل العاشر) فى أحقر أوقات الشيطان ودعائه على نفسه بالويل (الفصل الحادى عشر) جرى الشيطان من ابن آدم مجرى الدم (الفصل الثانى عشر) هرب الشيطان من الآذان ووسوسته للمصلين من المسلمين (الفصل الثالث عشر) مبيت الشيطان على خياشيم ابن آدم (الفصل الرابع عشر) نصب الشيطان عرشه على الماء وإرساله سراياه (الفصل الخامس عشر) فى ذكر شيطان العبادة من الصلاة والوضوء والصوم (الفصل السادس عشر) فى راية الشيطان (الفصل السابع عشر) فى تصفيد الشيطان فى شهر رمضان (الفصل الثامن عشر) فى حضور الشيطان عند النبى ﷺ وفراره من عمر (الفصل التاسع عشر)

فى كلام الأنبياء للشيطان (الفصل العشرون) مم خلق الشيطان وهل هو من الملائكة أم لا (الفصل الحادى والعشرون) فى تحزينه لابن آدم فى المنام برؤيا سيئة وفيه رؤيا النبى ﷺ فى المنام وأن الشيطان لا يتمثل به (الفصل الثانى والعشرون) فى اجتهاد الشيطان على المؤمن عند الموت (الفصل الثالث والعشرون) فيما أعد لإبليس فى جهنم ورجائه المغفرة .

الفصل الأول فى الاستعاذة وأحكامها

وقال الله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وقال تعالى (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون الإستعاذة استدعاء عصمة الله سبحانه من الشيطان وأصل أعوذ أعوذ بضم الواو على وزن أدخل واقفل فنقلت حركة عين الكلمة إلى فائها فسكنت كما سكنت فى الماضى وقيل استثقلت الضمة على الواو وصارت إلى الألف فهذا الإعلال لأجل أن يشاكل المضارع الماضى وقيل استثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى العين والإعلال فيه أصلى بنفسه وهذا غير مستقيم لأن الحركة فى حرف اللين لا تستثقل إذا سكن ما قبلها وإنما هذا الإعلال لأجل أن يشاكل المضارع الماضى (قوله من الشيطان) فتح النون لالتقاء الساكنين والأفصح فى من إذا دخل على لام التعريف نحو من الرجل فتح النون وقد تكسر وهو غير فصيح فان دخل من على اسم فى أوله همزة وصل نحو من ابنك كسرت النون وقد تفتح وهو غير فصيح والفرق أن استعمال من مع لام التعريف نحو من الرجل كثير جداً والفتح أخف إذلو كسر لاجتمع كسير ثانى كما قالوا كيف وأين ففتحوا كراهية اجتماع باء وكسرة وأما نحو من ابنك فقليل إذما فيه همزة الوصل قليل بالنسبة إلى ما فيه لام التعريف نحو من إله وأما من قال من ابنك فلفرط حرصه على ما هو أخف فان قيل عن الرجل بالكسر وما الفرق بين من وعن قلت الفرق أن العين لم

تكن مكسورة كما كانت الميم فى من فلما لم يكن كذلك ثبت على الكسر الذى هو الأصل .

(فصل) الشيطان واحد الشياطين على التكثير والنون أصلية لأنه مشتق من شطن إذا بعد عن الخير وشطنت دارى أى بعدت قال الشاعر :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

وبئر شطون أى بعيدة القعر سمى بذلك لبعده من الصلاح والخير وقيل إن شيطان مأخوذ من شاط يشيط إذا بطل فالنون زائدة وشاط إذا احترق واشتاط الرجل إذا احتد غيظا واشتاط إذا هلك قال الأعشى شعر :

قد تظعن العير فى أكنان قائلة وقد يشيط على أرماحنا البطل

أى يهلك . وهذا القول فيه نظر من وجهين أحدهما أن سيبويه حكى أن العرب تقول تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين فهذا يبين أنه تفعيل من شطن ولو كان من شاط لقالوا تشيط قال أمية بن أبى الصلت . شعر :

أيما شاطن عصاه عكاه ورماه فى السجن والأغلال

فهذا شاطن من شطن لاشك فيه فعلى القول الأول النون فيه أصلية ووزنه فيعال وعلى القول الثانى النون فيه زائدة ووزنه فعلان فان جعلته فيعالا صرفته وإن جعلته فعلانا لم تصرفه للتعريف والألف والنون الزائدتين كسعدان وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان .

فصل : الرجيم فعيل بمعنى مفعول أى رجوم وصف بذلك لأنه يرجم بالنجوم عن استراقه للسمع . قال تعالى « وجعلناها رجوما للشياطين » يعنى الكواكب وقيل لأنه رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة وقيل فعيل بمعنى فاعل أى يرجم غيره بالاغواء والاستعاذة فى كلام العرب الاستجارة والتحيز

إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه يقال عذت بفلان واستعذت به أى لجأت إليه وهو عياذى أى ملجئى فالعوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به فالعياذ لدفع الشر واللياذ لطلب الخير كما قال المتنبي

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ... ولا يهيضون عظماً أنت جابره

ونفس الاستعاذة تارة تقع من نفس ما لم يكن بعد وتارة من موجود له شر مستقبل فالأول كقوله اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والثانى كقوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقوله ﷺ أعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فيحتمل هذا وهذا لكن الأظهر أنه من المعدوم تعوذ من شر نفسه الذى لم يقع وسيئات عمله أى عقوبات عمله وهذا تعوذ من نوع الشر .

فصل : من هنا لابتداء الغاية وان لم تحسن فى مقابلتها إلى على ما ذكره ابن الحاجب وابن مالك لأن ابتداء الاستعاذة من الشيطان مع قطع النظر عن الانتهاء فان القصد امتداد الاستعاذة ودوامها . فان قيل : لم اتصلت من هنا بالله واتصلت فى موضوع آخر برب قال تعالى قل أعوذ برب الفلق قل أعوذ برب الناس . قلنا : لأن التعوذ هنا لقراءة القرآن وفى قوله هناك قل أعوذ برب الفلق لحفظ النفس والبدن من السحر والعين والأول أهم لأن الشيطان يبالغ فى منع العبادة أشد منه فى ايصال الضرر ومن ثم كان (لا تحزن إن الله معنا) أبلغ من (كلا إن معى ربى سيهدين)

فصل : الألف واللام فى الشيطان يحتمل أن تكون للعهد أى الشيطان المعهود الذى هو عدونا وعدو أبينا إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا لأن المعاصى برضا الشيطان والراضى كالفاعل وأن استبعدت ذلك فاعرفه بمسألة شرعية فان قراءة الأمام قراءة المقتدى عند الأكثرين من حيث أنه رضى

بها وسكت خلفه ويحتمل أن تكون للعموم لأن الشياطين كثيرة مرئية وغير مرئية وتشمل الأستعاذة بالله من شياطين الإنس وشياطين الجن بل وتشمل الأستعاذة أستعاذة الإنسان من شر نفسه كقوله سبحانه وتعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وفى هذه الآية ثلاثة أقوال أحدها أن المعنى من شر الموسوس فى صدور الناس جنهم وإنسهم فسمى الجن ههنا ناساً كما سماهم رجالا قاله الفراء فيكون الوسواس موسوسا للجن كما يوسوس للأنس فيكون الجار والمجرور فى قوله من الجنة والناس حالا أى كائنا من القبيلتين ومن الجنة للتبغيض وأجاز الزمخشرى أن يكون لابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس وهذا القول ضعيف اذا لم يقم دليل على أن الجنى يوسوس فى صدور الجن ويدخل فيه كما يدخل فى الناس ثم فيه تبين للناس بالناس والجن لا يطلق عليهم ناس لأنه مأخوذ من الاستتار وأما الناس فبينه وبين الإنس مناسبة والانسان مشتق من الأستئناس وهو الرؤية والاحساس ومن قوله آنس من جانب الطور ناراً أى رآها فان آنستم منهم رشداً أى أحسستموه ورأيتموه وأما الناس فالصحيح أنه من تونس وهو الحركة الشائعة فيسمى الناس ناساً للحركة الظاهرة والباطنة كما يسمى الرجل حارث وهمام وهما أصدق الأسماء لأن كل واحد له هم وارادة هى مبتدأ حرث وعمل هو منتهى وكل أحد هو حارث وهمام وهما حركة الظاهر والباطن .

والقول الثانى : أن المعنى من الموسوس فى صدور الناس من الجن ومن شر الإنس مطلقا قاله الزجاج ولم يذكر ابن الجوزى وجماعة غير هذين .

والقول الثالث : وهو الصحيح فهو حال من الضمير فى يوسوس والمعنى الاستعاذة من شر الموسوس من الجنة والناس فى صدور الناس فأمر بالاستعاذة

شر شياطين الجن والانس إن قوله بيان الذى يوسوس وانهم نوعان أنسى وجنى والوسوسة هي الالقاء الخفى فى القلب وهذا مشترك بين الجن والانس فعلى هذا الموسوس فى صدورهم قسمان أنسى وجنى فالوسواس موسوس للجنى كما يوسوس للانسى كما قال تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » وقال تعالى عن المنافقين وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم والمراد هنا شياطين الانس باجماع المفسرين وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقال يارسول الله أو للانس شياطين فقال نعم شر من شياطين الجن رواه الامام أحمد وابن حبان فى صحيحة فأمر سبحانه بالاستعاذة من شر الوسواس من الجنة والناس الذى يوسوس فى صدور الناس ويدخل فى ذلك وسوسة نفس الانسان له ووسوسة غيره له وهذا القول إختاره الحكيم الترمذى والشيخ تقى الدين فى كتاب الرد على الرافضة .

(فان قيل) قال تعالى « أدفع بالتى هي أحسن ، السيئة نحن أعلم بما يصفون . وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين » أمر سبحانه وتعالى أن يحترز من شر شياطين الانس بدفع إساءتهم إليه بالتى هي أحسن وأن يدفع شر شياطين الجن بالإستعاذة منهم كما قال سبحانه وتعالى فى سورة الاعراف خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فأمر بدفع شر الجاهلين بالاعراض عنهم ثم أمره بدفع شر الشيطان بالاستعاذة منه فقال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ونظير ذلك فى فصلت ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم فهذا الدفع لشيطان الانس ثم قال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قلنا : شياطين الانس للانسان فى الاحتراز منهم طريقان أحدهما التباعد عنهم وعدم الاجتماع بهم والأنس بهم فان شيطان الإنس إنما يغوى إذا لاذ به الإنسان وصاحبه حتى صار من إخوانه كما قال

صلى الله عليه وسلم لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى والثانى الاستعاذة بالله فانه إذا أغواه وزين له معصية ربه فاستعاذ بالله منه عصمه الله من تأثير وسوسته فى قلبه وسلمه منه بحوله وقوته فانه سميع عليم سميع باستعاذتك عليم باغواء شيطانك قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان فاذا ذكر العبد ربه خنس فالخناس فعال من خنس يخنس إذا توارى واختفى وأصله الرجوع إلى وراء والخناس مأخوذ من هـــذين المعنيين فهو من الإختفاء والرجوع ومن وسوسته أيضا أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله ولهذا يضاف النسيان إليه إضافتـه إلى سببه ، قال تعالى فانى نسيت الحوت وماأنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقوله من شر الوسواس يعم كل شره ووصفه بأعظم صفاته وهي الوسوسة التى هي مبدأ الارادة فان القلب يكون فارغا فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله ويصوره فى نفسه ويشهيه فيصيره شهوة ويحسنها له فتصير إرادة ثم لا يزال يخيل ويشهى وينسى علمه بضرها فتصير الإرادة عزيمة جازمة فيبعث الجنود فى الطلب فيبعث الشيطان معهم مددا وأعوانا فان فروا حركهم وأزعجهم كما قال ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا .

فصل : أجمع الناس على مشروعية الاستعاذة لقراءة القرآن قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال أكثر العلماء إنها تشرع لارادة القراءة وقاله الأئمة الأربعة وغيرهم وقالوا فى الآية إذا أردت قراءة القرآن فاطلق اسم السبب على المسبب كما يقال إذا دخلت على الأمير فتأهب فعبر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له فكما عبر عن عدم القدرة على الفعل بعدم الفعل فى قولهم الإنسان لا يطير والأعمى لا يبصر أى لا يقدر كذا عبر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مسبب عن القدرة والارادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما وللايجاز وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ أحدكم فليستنثر وصح أنه صلى

الله عليه وسلم استتر فى أول وضوئه وقال ﷺ إذا أمن الإمام فأمنوا فانه من وافق تأمانه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه أى إذا أراد الإمام أن يؤمن وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الإمام إذا وصل فى القراءة إلى قوله ولا الضالين يريد أن يؤمن فهو كاللفظ فليس فى اللفظ حجة على أن الإمام لا يؤمن وقالت طائفة الاستعاذة بعد القراءه ذكر ذلك عن أبى هريرة وابن سيرين والنخعى وقاله داود وخالفه ابن حزم فى ذلك وقال صح ابتداء القراء جيلا بعد جيل على الابتداء بالتعوذ قبل القراءة وأخذ هؤلاء بظاهر الآية لأن الفاء للتعقيب وجعلها الأئمة هنا للحال نحو اذا دخلت على الأمير فتأهب وعن أبى هريرة أنه تعوذ بعد الفاتحة فى الصلاة فقيل لأنه نسيه قبلها وقيل لأجل ما يقرأ بعدها قال الشافعى فى مسنده أخبرنا إبراهيم بن محمد عن ربيعة بن عثمان عن صالح بن أبى صالح أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم النـــاس رافعا صوته ربنا إنا نعوذ بك من الشيطـان الرجيم فى المكتوبة إذا فرغ من أم القرآن والحديث نص فى الاستعاذة قبل القراءة كما يأتى وللحكم فى التعوذ قبل الشروع فى قراءة القرآن وجوه (أحدها) أن القرآن شفاء لما فى الصدور ويذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والارادات الفاسدة فهو دواء لما أثره فيها الشيطان فأمر القارىء أن يطرد مادة الداء ويخلو منه القلب ليصادف الدواء محلا خاليا فيؤثر فية كما قيل

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصـــادف قلبا خاليـا فتمكنا

(الثانى) أن القرآن مادة الهدى والخير فى القلب كما أن الماء مادة النبات والشيطان نار يحرق النبات أولا فأولا فكلما أحس نبات الخير فى القلب سعى فى إحراقه وأفساده فأمرأن يستعيذ بالله منه لئـــلا يفسد عليه ما يحصله بالقرآن والفرق بين هذا الوجه والذى قبله أن الاستعاذة فى الوجه الأول

لأجل حصول فائدة القرآن وفى الوجه الثانى لأجل بقائها وحفظها وثباتها وكأن من قال الاستعاذة قبل القراءة لحفظ هذا المعنى (الوجه الثالث) أن الملائكة تدنو للقـــراءة وتسمعها كما فى حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها المصباح فقال النبى ﷺ تلك الملائكة . والشياطين ضد الملك وعدوه فأمر القارىء أن يطلب بعد عدوه عنه حتى تحضره الملائكة فهذه وليمة لا تجتمع فيها الملائكة والشياطين (والوجه الرابع) أن الشيطان يجلب على القارىء بخيله ورجله حتى يشغله عن تدبر القرآن وفهمه فلا يكمل أنتفاع القارىء فأمر عند الشروع إن يستعيذ بالله منه (الخامس) أن القارىء مناج لربه بكلامه والله سبحانه أشـــد أذنا القارىء الحسن الصوت بالقراءة من صاحب القينة إلى قينته والشيطان إنما قراءته الشعر والغنـاء فأمر القارىء أن يطرده بالاستعاذة عنـد مناجاته واستماع الرب قراءته (السادس) أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسـل من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته قال السلف المعنى أنه اذا تلا ألقى الشيطان فى تلاوته ، قال الشاعر فى عثمان رضى الله تعالى عنه .

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقـادر

فاذا كان فعله هذا للرسل فكيف بغيرهم ولهذا يغلط القارىء ويشوش عليه (السابع) أنه أحرص ما يكون على الانسان عند مايهم بالخير ويدخل فيـه . وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال ان شيطانا تفلت على البـارحة فأراد أن يقطع على صلاتى وكلما كان الفعـل أنفع للعبد وأحب الى الله كان اعتراض الشيطان له أكثر قال مجـاهد ما من رفقة تخرج الى مـكة الا جهز معهم ابليس مثـل عددهم رواة بن أبى حاتم فأمر سبحانه العبد أن يحـارب عدوه الذى يقطع عليه الطريق ويستعيذ بالله منه أولا ثم يأخذ فى السير كما أن المسافر إذا عرض له قاطع طريق اشتغل بدفعه ثم سـار هذه فائدة الاستعاذة لأجل قراءة القرآن ولا شك أن المراد من الاستعاذة التعوذ من جميع المنهيات

والمحظورات وهى إما من باب الاعتقاد أو من باب أعمال الجوارح وأما الاعتقادات ففى الحديث ستفترق هذه الأمة على نيف وسبعين فرقة موصوفة بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة ثم إن كل واحدة من أولئك الفرق غير مختص بمسئلة بل مسائل متعلقة بذات الله تعالى وبصفاته وأحكامه وبأفعاله وأسمائه وبمسائل الجبر والقدر والتعديل والتخويف والنبوات والمعاد والوعد والوعيد والاسماء والأمامة اذا وزعنا عدد هذه الفرق المذكورة فى الحديث على هذه المسائل بلغ العدد الحاصل مبلغاً عظيما ، وأيضاً من الشهوات فرق الضلال من الخارجين عن هذه الأمة نحو سبعمائة فرقة فاذا ضممت أنواع ضلالاتهم إلى أنواع مضلالات الموجودات فى فرق الأمة فى جميع المسائل العقلية المتعلقة بالالهيات والمتعلقة بأحكام الذات والصفات بلغ الجميع مبلغاً عظيما فى العدد ولا شك أن قولنا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتناول الاستعاذة من جميع تلك الأنواع والاستعاذة من الشيء لا تمكن إلا بعد معرفة قبحه فظهر أن قولنا أعوذ بالله مشتمل على ألوف من المسائل وأما الأعمال الباطلة فهى عبارة عن كل ما ورد النهى عنه فى الكتاب والسنة والاجماع والقياس ولا شك أن تلك المنهيات تزيد على ألوف فيثبت بهذا الطريق أن قولنا أعوذ بالله مشتمل على عشرة آلاف مسئلة او ازيد او اقل من المسائل المهمة فصدق من قال إن الاستعاذة يستنبط من فوائدها عشرة آلاف مسئلة والله واعلم .

(فصل) قال مالك لا يتعوذ المصلى فى الصلاة المكتوبة لقول انس رضى الله عنه كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وقياسا على صلاة الجنازه فانه ليس فيها التعوذ وعامه العلماء على خلافه وانه يسن التعوذ فى المكتوبة للاية الكريمة فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله قال ابن عبد السلام المالكى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

فى الصـــلاة بغير إستعاذة مخصص الآية قلنا هذا لا يصح لأنه ثبت أنه ﷺ تعوذ فى الصلاة فى قيام الليل قال ابن عطية لم يحفظ أنه ﷺ تعوذ فى صلاة قال ابن حزم قال مالك لا يتعـوذ إلا فى قيام رمضان فانه يبدأ بالتعوذ فى أول ليلة ثم لا يعود وهذه قولة لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس إنتهى . وأما صـلاة الجنازة ففيها روايتان عن الإمام أحمد فان سلمناها فالفرق بينها وبين المكتوبات أنهـا مبنية على الإسراع ولهذا يسلم فيها مرة وقال أبو حنيفة والشافعى بالتعوذ فى كل صلاة لـكن قال الشافعى يتعوذ المصلى فى كل ركعة وقال أبو حنيفة يتعوذ فى الركعة الأولى وهو تعوذ لقراءة الصلاة كلها وعن الإمام احمد روايتان كالمذهبين ظاهر المذهب كقول ابى حنيفة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى صلاة الليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك إسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه رواه الخمسة ولفظه للترمذى وهو من رواية على بن على الرفاعى وقد إختلف فيه قال أحمد لا يصح هذا الحديث وفى الباب عن أنس وعائشة والقطع أنه صلى الله عليـــه وسلم كان يستفتح فى الفرائض وكذا التعوذ ولـكن كان يخفيه .

(فصل) قال أكثر العلماء التعوذ فى الصلاة من سننها لا تبطل بتركه وهذا قول الأئمة الأربعة وغيرهم ولم يعلمه النبى ﷺ للمسىء فى صلاته مع الحاجة إلى البيان وعن أحمد رواية أنه واجب فيها واختاره أبو عبد الله بن بطة لظاهر الآية قال الشيخ أبو العباس من العلماء من يوجب الاستعاذة للقراءة وهذا القول قوى لأمر الله تعالى بذلك انتهى ، وذكر عن ابن جريج عن عطاء أنه قال الاستعاذة واجبة لـكل قراءة فى الصلاة وغيرها وقال ابن حزم التعوذ فرض فى كل ركعة وحكى رواية عن الإمام أحمد بالوجوب فى كل ركعة لأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولأن

الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال ابن سيرين إذا تعوذ فى عمره مرة واحدة أجزأه فى إسقاط الوجوب وفى هذا إشارة من ابن سيرين إلى أن الأمر إذا علق على شرط لا يقتضى التكرار كما إختاره ابن الحاجب وطائفة من الأصوليين وقال بعض أهل العلم كانت الاستعاذة واجبة على النبى ﷺ لتوجه الخطاب إليه دون أمته ولو قيل بالعكس لعصمته ﷺ دون غيره من الناس كان أولى واختلف الناس فى كيفية الاستعاذة على أقوال أحدها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إختياره القاضى أبو يعلى فى الجامع الصغير وأبو حنيفة والشافعى وإختاره من القراء أبو عمرو وعاصم وابن كثير لظاهر الآية فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال المقدمى ولكثرة استعماله فى سائر الأمصار ولزوم أكثر القراء له فى جميع الأقطار وقال ابن المنذر جاء أن النبى ﷺ كان يستعيذ كذلك والقول الثانى أنه يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وهو منصوص الإمام احمد فى رواية عبد الله وهو ما ذكره الشيخ مجـــد الدين فى المحرر وقاله أويس القرنى والحسن وابن سيرين وقتادة وبعض الشافعية وذكره المهدوى عن كثير من القراء لخبر أبى سعيد السابق أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزة ونفخه ونفثه .

وروى أبو داود فى قصة الإفك أن النبى ﷺ جلس وكشف عن وجهه وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقال أبو العالية لما قرأ النبى ﷺ سورة المجادلة وخولة بين يديه قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وذكر ابن أبى شيبة أن عمر كان يتعوذ كذلك والقول الثالث أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم قال عبد الله بن أحمد سمعت أبى إذا قرأ إستعاذ فيقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم وإختاره طائفة من الأصحاب كأبى بكر عبد العزيز والقاضى فى المحرر وابن عقيل وقاله سفيان الثورى ومسلم بن يسار ومن

القراء نافع وابن عامر والكسائى لأن ظاهر الآية أن يعقب أعوذ بالله بقوله من الشيطان الرجيم وقوله فاستعذ بالله إنه سميع عليم يقتضى أن يلحق بالاستعاذة وصفه بأنه السميع العليم فى جملة مستقلة مؤكدة بحرف أن وفائدته الثناء على الله والإخبار بأنه سبحانه سميع عليم فيسمع إستعاذتك فيجيبك ويعلم ما استعذت منه فيدفعه عنك فهو السميع لكلام المستعيذ والعليم لفعل المستعاذ منه وبذلك يحصل مقصود الاستعاذة القول الرابع أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم وهو مارواه إبن أبى موسى فى الإرشاد وأبو الخطاب فى الهداية والحلوانى فى التبصرة وغيرهم لأن قوله فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم لابد أن يقدر فيه من الشيطان الرجيم وهو يحسن قبل ذكر الصفة وبعدها فجمعنا بينهما عملا بهذا القول الخامس اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزة ونفخه ونفثه إختاره إسحق بن راهويه وذكره عن النبى ﷺ وصدق قال أحمد فى المسند حدثنا قراد أبو نوح حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى سلمة قال كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يقول اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزة ونفخه ونفثة وذكر حرب عن أبن عمر أنه كان يقول اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم القول السادس ذكره فى كتاب الحنفية أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم إختاره حمزة وذكره عن ابن سيرين القول السابع أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم القول الثامن قاله طائفة من أهل مصر والمغرب أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم القول التاسع قاله طائفة من أهل خراسان وغيرهم أعوذ بالله القوى من الشيطان الغوى القول العاشر أعوذ بالله المعين من الشيطان اللعين قال ابن عطية أكثر المفسرين فى هذا من تبديل الصفة فى إسم الله وفى جهة الأخرى فى قول بعضهم أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ونحو هذا أسماء لا أقول فيه نعمت البدعة ولا أقول إنه

لا يجوز قال المهدوى والاختيار الاقتصار على ما يؤيده القرآن والخبر وهو فى القولين الأولين والأول أولى لأنه مؤيد بالنص المأمور عند قراءة القرآن والقول الثانى وإن أيده النص فانه مأمور به عند نزغ الشيطان قال الشيخ موفق الدين كيفما إستعاذ فهو حسن لأنه منقول والمرجح غير ظاهر ، وقال الشيخ مجد الدين مهما إستعاذ به أجزأه بلا كراهة وقد جاء التعوذ من الشيطان عن موسى عليه السلام قال عمر بن حسان أن موسى أعطى آية من كنوز العرش رب العرش لا يريح الشيطان فى قلبى وأعذنى منه ومن كل شر فان لك الأيد والسلطان والملك والملكوت دهر الداهرين وأبد الآبدين آمين آمين وأعطى رسول الله ﷺ آيتين من كنوز العرش آخر صورة البقرة آمن الرسول ذكر هذا هشام بن عمار فى كتاب البعث (تنبيه) سبق فى تعوذ النبى ﷺ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقد جاء فى الحديث تفسير ذلك قال وهمزة لمته يعنى إلى شبه الجنون ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقد قال تعالى وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون الهمزات جمع همزة كتمرات وتمرة وأول الهمز الدفع قال الكسائى همزته ولمزته ولهزته ونهزته إذا دفعته والتحقيق أنه دفع بغمز يشبه الطعن فهو دفع خاص فهمزات الشياطين دفعهم الوسواس فى الوساوس والأغواء إلى القلب قال ابن عباس همزات الشياطين نزغاتهم ووساوسهم وفسر مجاهد همزاتهم بنفخهم ونفثهم وظاهر الحديث أن الهمز نوع غير النفخ والنفث والأظهر أن يقال همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصابتهم لابن آدم وإذا قرنت بالنفخ والنفث كانت نوعاً خاصاً أن يقال القرآن إستعاذة من همزات الشياطين وهي مقتضيات الإغواء والإضلال والسنة الاستعاذة من ذلك ومن الآثار الناشئة عن ذلك من الكبر والشعر كما فى قوله ﷺ « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا » ثم قال « وأعوذ بك رب أن يحضرون

قال ابن زيد فى أمورى ، وقال الكلبى : فى تلاوة القرآن ، وقال عكرمة عند النزع والسياق فأمره أن يستعيذ من نوعى شرهم اصابتهم له بالهمزة وقربهم ودنوهم منه فتضمنت الاستعاذة أن لا يمسوه ولا يقربوه ، وفى صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شىء من شأنه حتى يحضرة عند طعامه فاذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من الأذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فاذا فرغ فليعلق أصابعه فانه لا يدرى فى أى طعامه البركة » وقال الإمام أحمد فى المسند حدثنا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولها عند النوم من الفزع بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، وكان عبد الله بن عمر يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها فى عنقه ورواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن ، وعن سفيان عن محمد بن يحيى بن حيان إن خالد بن الوليد أصابه أرق فشكا ذلك للنبى ﷺ فأمره أن يتعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون رواه ابن السنى (فان قيل) إستعاذ النبى ﷺ أن يحضره الشياطين وقد جاء الشيطان ليقطع عليه صلاته وحضره ليلة الوادى (قلنا) لعل هذا هو الحامل لمن فسر قوله تعالى وأعوذ بك رب أن يحضرون بحالة قراءة القرآن وإما حالة النزع والسياق وقول ابن زيد فى أمورى كلها لا يرد بل أيضا يقال معناه وأن يحضرون للاغواء ونحو ذلك فهو نفى للحضور على وجه خاص لا نفى للحضور مطلقا وسيأتى تمام الكلام فى ذلك فى الفصل الثامن عشر إن شاء الله تعالى (تنبيه آخر) قال سبحانه فى سورة الاعراف « فاما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه سميع عليم » وقال فى سورة فصلت « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى

بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم » ثم قال « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم » فأكد سبحانه هنا بأن وبضمير الفصل وأتى باللام فى السميع العليم وفيه وجوه (أحدها) أنه حيث اقتصر على مجرد الأسم ولم يؤكده أريد إثبات الوصف الكافى فى الاستعاذة والأخبار أنه سبحانه وتعالى يسمع ويعلم فيسمع إستعاذتك فيجيبك ويعلم ما تستعيذ منه فيدفعه عنك فالسميع لكلام المستعيذ والعليم لفعل المستعاذ منه وهذا المعنى شامل للموضعين وإمتاز المذكور فى فصلت بالتأكيد والتخصيص والتعريف لأنه ساق ذلك بعد إنكاره على الذين شكوا فى سمعه كما فى الصحيح عن ابن مسعود قال إجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفى أو ثقفيان وقرشى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم قالوا أترون أن الله يسمع ما تقول قال أحدهم يسمع ما نقول قال أحدهم يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا فقال الآخر إن سمع بعضه سمعه كله فانزل الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) إلى قوله من الخاسرين فجاء التأكيد أنه هو السميع العليم فى سياق هذا الإنكار إنه هو وحده الذى له كمال قوة السمع وإحاطة العلم لا كما يظن الجهال أنه لا يسمع أن اخفوا وأنه لا يعلم كثيراً مما يعملون ، (الوجه الثانى) أن المأمور به فى فصلت دفع إساءتهم إليه بإحسانه إليهم وذلك أشق على النفوس من مجرد الأعراض عنهم ولهذا عقبه « وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » فحسن التأكيد لحاجة المستعيذ (والوجه الثالث) أن السياق ههنا لإثبات كمال صفاته وأدلة ثبوتها وآيات ربو بيته وشواهد توحيده ولهذا أعقب ذلك بقوله « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر » إلى قوله « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة » فأتى بأداة التعريف الدالة على أن من أسمائه السميع العليم كما جاءت الأسماء الحسنى كلها معرفة والذى فى الأعراف

سياق وعيد المشركين وإخوانهم من الشياطين ووعد المستعيذ بأن له رباً يسمع ويعلم وآلهة المشركين الذين عبدوها من دونه ليس لهم أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها فالله سميع عليم وآلهتهم لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم فكيف تسوونها به فى العبادة فعلمت أنه لا يليق بهذا السياق غير التنكير كما لا يليق بذلك غير التعريف والله أعلم باسرار كلامه (فان قيل) قال سبحانه فى سورة حم المؤمن فاستعذ بالله أنه هو السميع البصير (قلنا) لما كان المستعاذ منه شر مجادلة الكفار فى آياته وما يترتب عليها من أفعالهم المرئية بالبصر قال « إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغية فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير » فانه لما كان المستعاذ منه كلامهم وأفعالهم المشاهدة عياناً قال أنه هوالسميع البصير وهناك فالمستعاذ منه غير مشاهد لنا فانه يراناهو وقبيلة من حيث لا نراهم بل هو معلوم بالإيمان وأخبار الله ورسوله وفى الجملة جاء فى الاستعاذة من الشيطان الذى يعلم وجوده ولا يراه بلفظ السميع العليم فى الاعراف وحم السجدة وجاءت الاستعاذة من شر الأنس الذين يفتنون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير فى سورة حم المؤمن لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة يرى بالبصر وأما نزغ الشيطان فوسواس وخطرات يلقيها فى القلب والله أعلم .

الفصل الثانى فى وسوسة الشيطان للابوين

قال تعالى (وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) الخليفة الذى يخلف الذاهب ويجىء بعده وأصله خليف بغير هاء فعيل بمعنى فاعل كالعليم والسميع دخلت الهاء للمبالغة بهذا الوصف كما قالوا راوية وعلامة وجمعه خلفاء كما يجمع فعيل ومن أنث أراد تأنيث اللفظ وقال فى الجمع خلائف وقد ورد التنزيل بهما قال الله تعالى « خلفاء من بعد قوم نوح » وقال

خلائف فى الأرض » وأراد بالخليفة آدم فى قول جميع المفسرين جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الأرض بعد الجن وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهراً طويلا فى الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فاقتتلوا وأفسدوا فبعث إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم الجن رأسهم إبليس وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الأرض وكانوا أخف الملائكة عبادة من الذين فوقهم وكذا أهل كل سماء وهؤلاء الملائكة لما كانوا سكان الأرض خفف الله عنهم العبادة فأحبوا البقاء في الأرض وكان الله قد أعطى ابليس ملك الأرض وملك السماء وخزانة الجنان وكان يعبد الله تعالى تارة فى الأرض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فأعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على ما انطوى عليه من الكبر فقال الله سبحانه له ولجنده « إنى جاعل فى الأرض خليفة » هذا المشهور فى التفسير (فان قيل) ماوجه استخلاف الله تعالى والخلافة إنما تكون للنيابة عن الغير إما لغيبته أو لعجزه وذلك لا يجوز على الله تعالى (قلنا) إنما كان خليفة لأنه كان بعد غيره ولأن الاستخلاف لغير ما ذكر وهو أن يستخلف المستخلف غيره امتحاناً للمستخلف أو تهذيباً له أو يستخلفه لقصور المستخلف عليه عن قبول التأثير من المستخلف لا لعجزه وذلك ظاهر فان السلطان جعل الوزير بينه وبين رعيته وكذا الواعظ جعل بين العامة والحكماء فان العامة يقبلون من الواعظ ما لا يقبلون من الحكيم وليس ذلك لعجز العامة عن القبول منه وعلى هذا اللحم والعظم لما تباعد ما بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم فجعل الله بحكمته بينهما الغضاريف التى بينهما ولها مناسبة إليهما لتأخذ من ذلك اللحم وتعطيه العظم وكذلك جعل الله تعالى الرسل بين الملك الذى هو من قبله تعالى وبين العباد لفضل قوة إعطائهم ليأخذوا منه الحكمة ويوصلوها إلى الناس وبهذا الوجه

قال تعالى « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » وقد قيل إن الخليفة يقال للواحد وللجمع وهنا هو جمع فإن الخليفة أريد به آدم وأولاده قال تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) (قال ابن جرير) خليفة من يخلفنى فى الحكم بين خلقى وأن ذلك الخليفة آدم ومن قام مقامه فى طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الإفساد فمن غير خلفائه .

(قال بعض الملاحدة وابن العربى) الخليفة هو خليفة عن الله مثل نائب الله وفسروا تعليم آدم الأسماء بالصفات التى جمع معانيها الإنسان وخلق آدم على صورته وأريد به هـــذا المعنى وأخذوا عن الفلاسفة أن الإنسان عالم صغير وهذا قريب وضموا إليه أن الله تعالى هو العالم الكبير بناء على أصلهم الكفرى فى وحدة الوجود وأن الله هو عين المخلوقات فالإنسان من بين الظاهر هو الخلافة الجامعة بين الأسماء والصفات ويتفرع على هذا دعوى الربوبية والالهية المخرجة إلى الفرعونية وزعموا على ذلك أن الرسول والولى يعطى كن أى يقول للشىء كن فيكون وأن سائر الناس أعطوا بسم الله الرحمن الرحيم عوضاً عن قول كن وهذا باطل ولا يجوز أن يكون لله خليفة بهذا المعنى ولهذا لما قالوا لأبى بكر الصديق رضى عنه ياخليفة الله قال لست بخليفة الله ولكن خليفة رسول الله ﷺ حسبى ذلك، وهو سبحانه وتعالى يكون خليفة لغيره كما قال رسول الله ﷺ « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل » لأن الله سبحانه حى قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب فلا يجوز أن يكون أحد منه خلفاً فانه لا يقوم مقامه فمن جعل له خليفة فهو مشرك به ، قوله تعالى « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » قال الله تعالى لهم انى خالق بشراً وإنهم يتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً فلذلك قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وصححه الراغب وغيره وكذا قال أكثر المفسرين . إنهم قاسوا على الغائب

فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل بنو الجان فهو أول قياس فاسد قيس به الشاهد على الغائب ورجح أكثر المفسرين والواقدى وجماعة هذا القول وأنهم قالوا قياسا على من سكن الأرض قبل من الجان فأفسدوا فيها فاذا قال القائل من أين حكمت الملائكة على الإنسان بالافساد وسفك الدماء وذلك إما إدعاء علم الغيب أو الحكم بالظن والتخمين وهم منزهون عن ذلك كان جوابه ما قلناه . قالت طائفة قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ليس بإنكار إنما هو استخبار ليعرفهم ما تسكن نفوسهم إليه ويرشدهم إلى ما يزيل شبههم ولم يسألوا عن ذلك الأوهم قد أذن لهم فى السؤال قال يحيى بن أبى كثير فى قوله أتجعل فيها من يفسد فيها كانوا عشرة آلاف من الملائكة فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم رواه ابن أبى حاتم وهذا خبر إسرائيلى منكر وله أيضاً عن أبى جعفر محمد بن الحسين أنه كان يقول السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان كل يوم له ثلاث لحات ينظرهن فى فى ام الكتاب نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم ومافيه من الأمور فأسر ذلك لهاروت وماروت وكانا من أعوانه فلما قال الله تعالى « إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء قالا ذلك إستطالة على الملائكة وهذا أثر غريب مقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا إثنين فقط وهو خلاف السياق وقد ورد عن أبيه خلافه والظاهر أن جميع ذلك من الإسرائيليات وقال على بن الحسين وقد سئل عن بدء الطواف أن الله لما قال للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ظنوا أن هذا رد على ربهم وقد أسخطه ذلك فطافوا بالعرش ولاذوابة يتضرعون ويبكون فنزلت الرحمة ووضع الله تحت العرش بيتاً من زبرجد على أربع أساطين وغشاؤه ياقوته حمراء وأمر الملائكة أن يطوفوا به وسمى ذلك البيت الضراح قوله تعالى «إنى أعلم مالا تعلمون» قال ابن عباس علم الله أن فى نفس ابليس بغياً وعن مجاهد قال علم من إبليس

كتمان الكبر وأنه لا يسجد لآدم وقال قتادة علم الله أنه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل صالحون .

وقال الحكماء لما خلق الله الإنسان جسما روحانيا وجعله مركبا من قوى ثلاث قوة شهوية وقوة غضبية وقوة ملكية فبقوته الشهوية يفسد فى الأرض وبقوته الغضبية يسفك الدماء التي لم تكن تحل له ويتولى خلافة الله تعالى بقوته الملكية التي هي العقل فلما سمع الملائكة أن هذا الإنسان مركب هذه التراكيب ورأوا القوة التي بها تصلح خلافته القوة التي خصوا بها ونظروا إلى زيادة القوتين ولم يعرفوا فضيلتهما فاستكبروا وراجعوا أمر الله وقالوا أما العبادة التي هي التسبيح والتقديس المختصة بالقوة الملكية فنحن نقيمها فما معنى الإنسان المركب تركيبا لا ينفك من فساد وقتل وقال تعالى فى جوابهم إنى أعلم مالا تعلمون فعرض ولم يصرح ليريهم تفضيل الانسان وما خص به من العلم والعمل اللذين يقصر الملك عنهما وللاجمال فى قوله تعالى إنى أعلم ما لا تعلمون بين فى قوله وعلم آدم الأسماء كلها .

(قال مسلم فى صحيحه) أخبرنا ابن أبى شيبة عن يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله آدم جعل إبليس يطيف به فلما نظر إليه أجوف قال ظفرت به خلقاً لا يتمالك » .

(وروى) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما أراد الله أن يخلق آدم بعث ملكا من الملائكة من حملة العرش أن يأتى بتراب من الأرض فلما أهوى ليأخذ منها قالت إنى أسألك بالذى أرسلك إلى أن لا تأخذ منى اليوم شيئاً يكون للنار فيه نصيب غداً قال فتركها فلما رجع إلى ربه قال ما منعك أن تأتينى بما أمرتك به ؟ قال يارب سألتنى بك أن لا آخذ منها شيئا يكون للنار نصيب فيه غداً فأعظمت أن أرد شيئا سألنى بك قال ثم

أرسل آخر من حملة العرش فلما أهوى ليأخذ منها قالت له مثل ذلك فتركها ورجع إلى ربه فقال له مثل ما قال الأول حتى أرسل حملة العرش كلهم كل ذلك يقول لهم مثل ذلك فيرجعون إلى ربهم فيقول لهم مثل ذلك حتى أرسل ملك الموت فلما أهوى ليأخذ منها قالت له الأرض أسألك بالذى أرسلك إلى أن لا تأخذمنى اليوم شيئاً يكون للنار منه نصيب غداً فقال ملك الموت الذى أرسلنى إليك أحق بالطاعة منك فأخذ من وجهة الأرض كلها طيبها وخبيثها حتى كانت قبضته عند موضع الكعبة فجاء بهم إلى ربه فصب عليها من ماء الجنة حتى كانت حمأ مسنوناً فخلق منها آدم بيده فقال تبارك الله أحسن الخالقين وهذا فى صحته نظر قال أبو داود في السنن حدثنا مسدد ثنا زيد بن زريع ويحيى بن سعيد قالا حدثنا عوف عن قسامة بن زهير حدثنا أبو موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأبيض والأحمر والأسود والحسن والطيب والسهل والخبيث » فهذا الحديث يدل على أن الله سبحانه وتعالى قبض قبضة من جميع الأرض خلق منها آدم وفيما سبق أنه أرسل ملكا يقبض منها وهذا ينافى ما سبق وفى هذا الحديث ما يشعر بأنه فضل من تلك القبضة بقية ولعله سبحانه وتعالى خلق منها تلك النخلة فانه قد جاء فى حديث على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من فضل طين آدم ليس من الشجرة شجره أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران » لكن ذكر ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات وقال لا يصح لأن فيه مسرور سعيد التميمى يروى عن الأوزاعى المناكير التى لا يجوز الاحتجاج بها وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة قال ابن الجوزى لا يصح هذا الحديث فيه الوليد بن مسلم وهو مدلس عن إسمعيل بن رافع ضعفه الإمام أحمد فسماها عمتنا

لأنها خلقت من فضل طينة آدم وقيل معنى قوله عمتكم شبيهتكم ووجه تشبيهها بالإنسان أنها أقرب النبات مرتبة من الحيوان .

(قال الحكماء) كل نبات إذا قطع رأسه انجبر إذا سلم أصله إلا النخلة فانه إذا قطع رأسها بطلت وقيل إن النخلة ربما يقابلها الجمار فتصبو كما تصبو المرأة إلى الرجل فلا ينفعها تلقيح إلا منه .

(وروى) الامام أحمد فى مسنده عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال إنى أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى هلموا ملكين حتى نهبطهما إلى الارض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا إلى الأرض فمثلت لهما الزهرة من أحسن البشر فجاءها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا لا والله لا نشرك بالله شيئاً فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هـــذا الصبى فقالا لا والله لا نقتله أبداً فذهبت عنهما ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه على إلا قد فعلتماه حين سكرتما فخيراً عند ذلك بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا وهذا الحديث لا يصح لأنه ذكر فيه أن الملائكة قالت لله أتجعل فيها من يفسد فيها لما أهبط آدم إلى الأرض وهو مخالف للقرآن .

قوله « وعلم آدم الأسماء كلها » قال أهل التفسير خلق فى قلبه علما بالأسماء وألهمه العلم بها وعلمه أسماء كل شىء حتى القـــدر والمعرفة قال أهل التأويل إن الله سبحانه وتعالى علم آدم جميع اللغات ثم إن أولاده تكلم كل واحد بلغة أخرى ولما تفرقوا اختص كل فرقة بلغة فاللغات كلها

إنما سمعت من آدم وأخذت عنه ، أنتهى . وقد اختلف فى واضع اللغات هل هو البارى سبحانه كما هو المشهور أو البشر واحد أو جماعة وهى مسئلة مشهورة وقوله « ثم عرضهم على الملائكة » العرض الأظهار قال أهل التفسير أن الله خلق كل شىء الحيوان والجماد ثم علم آدم اسماؤها ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة ولذلك قال ثم عرضهم على الملائكة لأنه انباء عن المسمى والمسميات وكان فيهم من يعقل من الملائكة والجن فقال انبؤنى بأسماء هؤلاء أخبرونى والنبأ الخبر وهذا أمر تعجيز أراد الله تعالى أن يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يظنون انهم أعلم من الخليفة الذى يجعل الله فى الأرض .

قوله « إن كنتم صادقين » قال الحسن إن كنتم صادقين إنى لا آخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه وأفضل قال أبو العالية لما عرفوا أنه جاعل فى الأرض خليفة قالوا لن يخلق الله خلقا إلا كنا نحن أعلم منه وأفضل فأحب الله أن يعلمهم أنه قد فضل آدم عليهم فعلمه الأسماء كلها ثم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا فأقروا بالعجز واعتذروا قال ابن عباس سبحانك تنزيها لك وتعظيما عن أن يعلم الغيب أحد سواك وقيله تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك لاعلم لنا إلا ما علمتنا وهذا ليس مما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم وفيه تنبيه على استعمال الأدب عند سؤال العلم .

(قال بعض الحكماء) الافتخار مدرجة للسقوط انظر كيف قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك إلى أن اعترفوا بعدم العلم فمن استكثر على الله طاعته فالجهل موطنه « قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم » فسمى كل شىء باسمه وألحق كل شىء بجنسه « قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والارض » أى أعلم ماغاب فيهما عنكم لقوله « ولله غيب

السموات والأرض » له ما غاب فيهما ملكا وخلقا « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون من إضمار إبليس الكفر وقال الحسن معنى قولهم لن يخلق الله خلقاً أفضل ولا أعلم منا وفى الآية حجة على أن العلم أفضل من العبادة فان الملائكة أذعنوا لآدم بالعلم .

قوله تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » أخبر سبحانه عن نفسه المقدسة بالجمع لأنه ملك الملوك واختلفوا فى الملائكة الذين أمروا بالسجود فقيل هم الذين كانوا مع إبليس فى الأرض قال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيميه هذا القول ليس من أقوال المسلمين بل من قول اليهود والنصارى وقيل هم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل وهذا قول العامة من أهل للعلم بالكتاب والسنة قال شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية ومن قال خلافه فقد رد القرآن بالكذب والبهتان لأنه سبحانه قال فسجد الملائكة كلهم أجمعون وهذا تأكيد للعموم وقد روى ابن جرير من (حديث) شعيب ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال إنى خالق بشراً من طين فاذا خلقته فاسجدوا له قالوا لا نفعل فأرسل سبحانه عليهم ناراً فاحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال لهم مثل ذلك فقالوا سمعنا وأطعنا إلا إبليس كان من الكافرين وفى صحه هذا نظر والظاهر أنه إسرائيلى .

وأصل السجود فى اللغة الخضوع والتذلل. واختلف الناس فى هذا السجود على قولين ، أحدهما أنه تكريم لآدم وطاعة لله ولم يكن عبادة لآدم . وقيل السجود لله وآدم قبلة أو السجود لآدم تحية أو السجود لآدم عبادة بأمر الله وفرضه عليهم . ذكر ابن الانبارى عن الفراء وجماعة من الأئمة أن سجود الملائكة لآدم كان تحية ولم يكن عبادة وكان ذلك تحية الناس ولم يكن وضع الوجه على الارض فلما جاء الآسلام أبطل ذلك بالسلام ولو كان آدم قبلة فى

سجدة واحدة لكانت الكعبة وبيت المقدس أفضل منه بألوف كثيرة إذ جعلت قبلة أمة فى جميع أنواع الصلوات فهذه القضية الكبيرة التى جعلت من أعظم النعم عليه وأمن الله عليه بها ليس فيها إلا أنه جعله كالكعبة فى وقت فى ركن من أركان الصلاة مع أن ما أوتيه من العلم والإيمان والقرب من الرحمن أفضل من الكعبة بكثير . قال أهل العلم السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه قال شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية على هذا اجماع كل من يسمع قوله فان الله قال أسجدوا لآدم ولم يقل إلى آدم وكل حرف له معنى وفرق وفرق بين سجدت له وبين سجدت إليه ، قال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن . ولله يسجد من فى السموات والأرض . أجمع المسلمون على أن السجود للاحجار والاشجار والدواب محرم وأما الكعبة فيقال كان النبى ﷺ يصلى إلى بيت المقدس ثم صلى إلى الكعبة ولا يقال صلى لبيت المقدس ولا للكعبة . والصواب أن الخضوع بالقلوب والاعتراف بالعبودية لا يصلح على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى ، وأما السجود فشريعة من الشرائع يتبع الأمر فلو أمرنا سبحانه أن نسجد لأحد من خلقه لسجدنا طاعة وإتباعاً لامره فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه وهو لآدم تشريف وتعظيم وتكريم ، وسجود أخوة يوسف له تحية وسلام ولم يأت أن آدم سجد للملائكة بل لم يؤمر بالسجود إلا لله رب العالمين .

(وبالجملة) أهل السنة قالوا إنه سجود تعظيم وتكريم وتحية له . وقالت المعتزلة كان آدم كالقبلة يسجد إليه ولم يسجدوا له قالوا ذلك هربا من أن تكون الآية الكريمة حجة عليهم فان أهل السنة قالوا إبليس من الملائكة وصالح البشر أفضل من الملائكة واحتجوا بسجود الملائكة لآدم، وخالفت المعتزلة فى ذلك وقالت الملائكة أفضل من البشر وسجود الملائكة لآدم كان

كالقبلة وبيطلة ما حكى الله سبحانه عن إبليس أرأيتك هذا الذى كرمت على لأحتنكن ذريته إلا قليلا .

(فصل) قوله تعالى : « إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » وفيه قولان : أحدهما أنه وقت العبادة كان منافقاً ، والقول الثانى أنه كان مؤمنا ثم كفر . وهذا قول الأكثرين فقيل فى معنى الآية وكان من الكافرين فى علم الله أى كان عالماً فى الأزل أنه سيكفر . والذى عليه الأكثرون أن أبليس أول كافر بالله فرد إلى ماهية تقتضى وجودها . أو يقال معنى الآيه أنه صار من الذين وافقوه فى الكفر بعد ذلك .

واختلف الناس بأى سبب كفر إبليس لعنه الله ، فقالت الخوارج إنما كفر بمعصية الله وكل معصية كفر ، وهذا قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وقال آخرون كفر بترك السجود لادم ومخالفته أمر الله . وقال : السجود فى الصلاة ركن واحتج به طائفة على كفر تارك الصلاة كما هو مذهب احمد . وحكى إجماع الصحابة وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً من تركه فقد كفر إلا الصلاة رواه الحاكم ، وقد جاء تكفير تارك الصلاة عن احد عشر نفساً من الصحابة وسبعة من التابعين وعامة فقهاء الحديث . وقال آخرون كفر إبليس لانه خالف الامر الشفاهى من الله فان الله خاطب الملائكة وأمرهم بالسجود ومخالفة الامر الشفاهى أشد قبحا . وقال جمهور الناس كفر إبليس لانه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد أنه محق فى تمرده واستدل بأنا خير منه كما يأتى فكأنه ترك السجود لادم تسفيهاً لامر الله وحكمته ، وهذا الكبر عبر عنه رسول ﷺ بقوله « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

وقال الميمونى ذكر أبو عبد الله ابن حنبل إبليس فقال إنما أمر بالسجود فاستكبر وكان من الكافرين والاستكبار هو كفر ، وقد حكى الشهرستانى فى

أول كتابه الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعه . قال اعلم أن أول شبهة وقعت فى الخليقة شبهة إبليس ومصدرها استمراره بالرأى فى مقابله النص واختياره الهوى واستكباره بالمادة التى خلق منها وهى النار على الطين وتشعبت عن هذه الشبهة سبع شبهات وسارت فى الخليقة وتلك الشبهات مسطورة فى شرح الاناجيل الاربعة ومذكورة فى التوراة متفرقة على شكل المناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والأمتناع منه .

وقال إبليس لعنه الله للملائكة يتوجه على مساق حكمته سبحانه أسئلة سبعة قال شارح الأناجيل الاربعة فأوحى الله من سرادقات الجلال والكبرياء يا إبليس ما عرفتنى ولو عرفتنى لعلمت أنه لا اعتراض على فى شىء من أفعالى فاننى أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل انتهى . وهذه القصة والمناظرة هى من نقل أهل الكتاب ونحن لا نصدقها ولا نكذبها وكأنها والله أعلم مناظرة وضعت على لسان إبليس ولا ريب أنها من كيده وقد أخبر الله سبحانه أن كيد الشيطان كان ضعيفاً وأسئلته وشهادته من أضعف الاسئلة عند أهل الايمان وأن ضعف موقعها عند من أصل أصولا فاسدة كانت سداً بينه وبين ردها وفى ذلك كلام طويل لا يسعه هذا الموضع .

(فصل) قوله سبحانه وتعالى « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » أكثر الناس على أن المراد بالجنة التى أسكنها آدم جنة الخلد دار الثواب .

قال شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية وهذا قول أهل السنة والجماعة قال الشيخ تقى الدين من قال أنها جنة فى الهند أوجدت أو غير ذلك فهو من الملحدة المبتدعين والكتاب والسنة يرد هذا القول وقالت طائفة : فى الارض ليست جنة الخلد وقد استوفى الكلام فيها فى مفتاح دار السعادة وكتاب حادى الارواح إلى بلاد الافراح وهذا مشهور فى كتب التفسير فى قوله

اسكن أنت هـل هو أمر إيجاب أو إباحة فعن قتادة إن الله تعالى ابتلى آدم باسكان كما ابتلى الملائكة بالسجود لآدم لأنه أسكن فيها آدم يأكل حيث شاء ونهاه عن أكل شجرة واحدة فمازال به البلاء حتى وقع فيما نهى عنه فاسكانه موضعاً فيه مشتهاه ثم منعه من أشد التكاليف فقيل هو إباحة لأن الاستقرار فى المواضع المنزهة لا يدخل تحت التعبد كأكل الطيبات والأصح أنه مشتمل عليها أما الإباحة فالإذن فى الإنتفاع بنعيم الجنة وأما التكليف فنهى مع حضور ما نهى عنه قوله تعالى وكلا منها رغداً قال فى الأعراف فكلا وهنا بالواو لأن كل فعل عطف عليه شيء وكان ذلك الفعل كالشرط وذكر الشيء كالجزاء عطف بالفاء دون الواو كقوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً لما كان وجود الأكل منها متعلقاً بدخولها ذكر بالفاء كأنه إن دخلتموها أكلتم منها فالأكل يتعلق وجوده بوجود الدخول وقوله فى الأعراف واسكنوا هذه القرية وكلوا منها بالواو دون الفاء لأنه من السكنى وهو المقام مع اللبث الطويل والأكل لا يختص وجوده بوجوده لأن من دخل بستانا قد يأكل منها وإن مجازاً فلما لم يتعلق الثانى بالأول تعلق الجزاء بالشرط عطف بالواو إذا ثبت هذا فنقول قد يراد باسكن الزم مكانا دخلته ولا تنتقل عنه وقد يراد ادخله واسكن فيه ففى البقرة ورد الأمر بعد أن كان آدم فى الجنة فكان المراد المكث والأكل لا يتعلق به فجيء بالواو وفى الأعراف ورد قبل أن دخل الجنة والمراد الدخول والأكل متعلق به فورد بالفاء قوله تعالى « ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين » قد اختلفوا فى تعيين الشجرة فقال ابن مسعود هى شجرة العنب وقال ابن عباس هى السنبلة وجاء مرفوعا إلى النبى ﷺ « مثل كلا البقر أحلى من العسل وألين من الزبد » قاله وهب بن منبه وقال ابن جريج شجرة التين ولذلك تعبر فى الرؤيا بالندامة لآكلها لأجل ندم آدم على أكلها وقال على شجرة الكافور قوله تعالى « ولا تقربا » لقصد النهى عن قرب الشجرة المبالغة فى النهى عنها لأن القرب من الشيء مقتضى الإلفه والإلفة داعية للمحبة

ومحبة الشيء تعمى وتصم فلا يرى قبيحا ولا يسمع نهيا فيقع والسبب الداعى إلى الشيء منهى عنه كما أن السبب الموصل إلى الخير مأمور به وعلى ذلك قوله ﷺ « العينان تزنيان » لما كان النظر داعيا إلى الألفة والألفة إلى المحبة وذلك مقتض لارتكابه فصار النظر مبدأ الزنا وعلى هذا قال تعالى : «ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » وهذا أولى مما حكاه البغوى عن بعض الحكما. أنه قال ولا تقربا هذه الشجرة للأكل منها وقال بعضهم حرمة الأكل على آدم وحواء عرفت من قوله تعالى . « فلما ذاقا الشجرة » ومن تصدير الكلام باباحة الأكل من قوله : « وكلا من حيث شئتما » فدل ذلك على أنه نهاهما عن أكل ثمرة تلك الشجرة لكن النهى بلا تقربا يعم الأكل وسائر الانتفاعات ، قال ابن العربى : سمعت الشاشى فى مجلس النظر يقول : إذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان كان معناه لا تلبس بالفعل وإذا كان بضم الراء معناه لا تدن .

(فصل) قوله تعالى : « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » قرأ الجماعة فأزلهما الشيطان بغير ألف من الزلة وهى الخطيئة أى استزلهما وأوقعهما فيها وقرأ حمزة فأزالهما بالألف من التنحية يقال أزلته واتفق الناس أن الشيطان كان متولى إغواء آدم واختلف فى الكيفية فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء أغواهما مشافهة ودليل ذلك قوله « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين » والمقاسمة ظاهر المشافهة قال بعضهم وذكر عبد الرزاق عن وهب بن منبه دخل الجنة فى فم الحية وهى ذات قوائم أربع كالبختية وهى من أحسن دابة خلقها الله بعد عرض نفسه على كثير من الحيوانات فلم يدخله إلا الحيه فلما دخلت به خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها فجاء بها إلى حواء فقال لها انظرى إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فلم يزل يغويها حتى أخذتها حواء فأكلتها ثم أغوى آدم وقالت له حواء كل فانى قد أكلت منها فلم يضرنى فبدت لهما سوآتهما وحصلا فى حكم الذنب فدخل آدم فى جوف الشجرة فناداه ربه أين

أنت قال أنا هذا يارب قال ألا تخرج قال أستحى منك يارب قال اهبط إلى الأرض التى خلقت منها ولعنت الحيـــة وردت قوائمها فى بطنها وجعلت العداوة بينها وبين آدم ولذلك أمر بقتلها وقيل لحـــواء كما أدميت الشجرة فـكذلك يصيبك الدم كل شهر وتحملين وتضعين كرها تشرفين به على الموت مراراً وتـكونى سفيهة وقـد كنت حليمة وقيل كانت الحية خادم آدم عليه السلام فى الجنة فخانته بأن مكنت عدو الله نفسها وأظهرت له العداوة هناك فلما أهبطوا تأكدت العداوة وفى الحديث ما سالمناهم منذ عاديناهم .

قال صفوان : حدثنا ابن عجلان عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى الحيات ماسالمناهم منذ عاديناهم ومن ترك شيئاً منهم خيفة فليس منا » . سئل أحمد بن صالح عن قوله ما سالمناهم منذعاديناهم متى كانت هذه العداوة قال حين أخرج آدم من الجنة اهبطوا بعضكم لبعض عدو . وقالت طائفة إن إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعد ما خـرج منها وإنما أغوى بشيطانه ووسواسه وسلطانه الذى أعطاه الله كما قال ﷺ : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » والله أعلم . وبكل حال فازلال إبليس آدم هو قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هـــذا الشجرة إن أن تـكونا ملـكين أو تـكونا من الخالدين ومقاسمته إياهما بقوله إنى لـكما لمن الناصحين قال فالأكثرون على أن ذلك كان بالمشاهدة ومنهم من قال كان كما قال فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووروا وأيدوا ذلك بأنه كيف يقبل آدم مع كمال عقله من إبليس ومعرفته بعداوته وقال سبحانه حكاية عنه فى وسوسته لهما فى سورة الأعراف فوسوس لهما الشيطان قيل دخل الجنة بإدخال الحية إياه وقيل من خارج بالسلطنة التى جعلت له ليبدى لهما ما ووري أى ستر عنهما من سوآتهما والمراد الفـرج فقيل إنما بدت سوآتهما لهما لا لغيرهما كان عليهما نور لا ترى عوراتهما فزال النور وقيل الثوب فتهافت قوله تعالى وقال « ما نهاكما ربكما عن هـذه

الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » ذكر إبليس للنهى أمرين أحدهما : أن الله إنما نهاهما عن أكل الشجرة إلا كراهية أن يكونا ملكين يعلمان الخير والشر أو ملكين لا يكون لهما شهوة للطعام والشراب أو ملكين فى الصورة والأجنحة والكرامة .

وقرأ ابن عباس وجماعة ، ملكين بكسر اللام . وأنكر أبو عمرو بن العلاء هذه القراءة وقال لم يكن قبل آدم ملك فيصيرا ملكين . قال ابن عباس أتاها الملعون من جهة الملك ولهذا قال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى حجة بينة ولكن الناس على تركها فلهذا تركناها .

(قلت) ويمكن الجمع بأن آدم رأى أن الملائكة لها ملك التدبير فإن الله سبحانه جعل للملائكة تصرفاً فى العالم وكذا رأى لها تصرفا فى أمور الجنة فأراد ذلك فدخل عليه إبليس من هذه الجهة . الأمر الثانى أنه غرها بالخلد وأن الله إنما نهاهما عن الأكل من الشجرة مخافة الخلد فانها شجرة الخلد ولعل آدم عليه السلام فهم من قوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة أن الإسكان لا يقتضى الدوام فلما أسكنها ورأى ما فيها تمنى الخلد فقال له إبليس هذه شجرة الخلد إن أكلت منها خلدت فى الجنة فدخل عليه من الشهوة والحرص .

وقد قال بعض الحكماء فيما نقل عن ابن عباس أو غيره من السلف أن إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أن تحمله فتدخله الجنة ليكلم آدم فأبت عليه الدواب حتى كلم الحية فجعلته بين نابين من أنيابها فأدخلته الجنة فكلم آدم من فيها فلذلك أمر الانسان بقتلها فقوله عرض نفسه على دواب الأرض أى استعان بقوى الانسان فلم يجد قوة يستعين بها حتى أتى الحية أى الشهوة وكنى بالحية عن الشهوة كأنها حية لا يبرأ سليمها وذلك أن الشيطان لا يأتى ابن آدم إلا من قبل هواه فجعلته بين نابيها كناية عن الأكل إذ هو أعظم

شهوة يتمكن بها الشيطان من الانسان . وقوله فلذلك أمر الانسان بقتلها أى أى أمر أن يقهر الشهوة ويذلها ، وهذا الذى ذكره هذا الحكيم وان كان صحيحا إلا أنه ترك لظاهر الخبر وفتح باب التأويلات . واعلم أن الحية مناسبة لما غر به إبليس لآدم فان الحيه لا تموت .

قال الأصمعى الحيه لا تموت لأنها حية أبدا لا تموت حتى يشدخ رأسها. ذكره أبو الشيخ الحافظ فى كتاب النوادر فلما جاءه بالحية يذكره بالحياة ومعنى الحية مخلدة لا تموت .

(فصل) آدم عليه السلام لم يخرج من الجنة إلا بالتأويل فالتأويل لنص الله أخرجه وإلا فهو لم يقصد المعصية والمخالفة وأن يكون ظالما مستحقا للشقاء واختلف الناس فى وجه تأويله وكيف أكل من الشجرة مع اقتران النهى بالوعيد ، لا تأكلا من هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فقالت طائفة أكلا من غير المشار إليه ولم يريا النهى واقعا على الجنس وعبر إبليس بالظاهر فان لفظة هذا يشار بها إلى الشخص ويشار بها إلى الجنس كقوله ﷺ « هذان حرامان على ذكور أمتى » مشيراً إلى الذهب وإلى الحرير أراد الجنس فتأول آدم عليه السلام وحمل النهى المطلق على الشجرة المعينة وغره إبليس بأن تلك الشجرة الخلد كما لو قال الطبيب للمريض لا تأكل هذا اللحم يشير إلى لحم بين يديه فأكل المريض من جنسه . وقال ابن العربى اتباع الظاهر أول معصية عصى الله بها على هذا القول . قال القرطبى وهذا قول حسن وظنا أن المراد العين أى الشجرة المعينة وكان المراد الجنس وهذا القول مشهور عن المعتزلة وفيه نظر ظاهر فان الله تعالى أخبر عن إبليس قال « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » فذكرهما عدو الله الشجرة التى نهيا عنها إما بعينها وإما بجنسها وصرح لهما بأنها المنهى ولو كان عند آدم أن المنهى عنه تلك الشجرة المعينة دون سائر النوع لم يكن عاصيا بأكله من غيرها ولا أخرج من الجنة .

وقال ابن العربى فى هذا القول دليل على أن من حلف لا يأكل من هذا الخبز فأكل من جنسه حنث ، وأكثر العلماء قالوا لا يحنث وقال مالك وأصحابه إذا اقتضى بساط اليمين تعين المشار إليه لم يحنث بأكل جنسه وإن اقتضى بساط اليمين أو سببها أو نيتها إليه حمل عليه وحنث بأكل غيره وعليه حملت قصة آدم عليه السلام لأنه نهى عن أكل شجرة معينة له وأريد به جنسها فحمل القول على اللفظ دون المعنى .

وقالت طائفة : تأول النهى على الندب كما فى الحديث نهى النبى ﷺ عن الشرب قائماً . قال ابن العربى وهذا وإن كان مسئلة أصولية من أصول الفقه فقد سقط ذلك هنا لقوله فتكونا من الظالمين فقرن النهى بالوعيد وكذلك قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، وقال الراغب نسى الوعيد المقترن به فلذلك حمله على الندب وهو معنى قوله فنسى وحيث نهى الله عن الشىء وقربانه لم يكن إلا للتحريم كقوله تعالى « ولا تقربو الزنا ولا تقربوهن حتى يطهرن » وقال ابن حزم : حمل الأمر على الندب والنهى على الكراهة يقع فيه الفقهاء والأفاضل كثيراً وهو الذى يقع من الأنبياء عليهم السلام ويؤاخذون به وعلى هذا السبيل أكل آدم من الشجرة ، ومعنى قوله فتكونا من الظالمين أى ظالمين لأنفسكما والظلم فى اللغة وضع الشىء فى غير موضعه فمن وضع الأمر والنهى فى موضع الندب والكراهة فقد وضع الشىء فى غير موضعه .

وقالت طائفة . كان سكران. قاله سعيد بن المسيب ويزيد بن قسيط وكانا يحلفان بالله إنه ما أكل من هذه الشجرة وهو يعقل . قال ابن العربى وهذا فاسد عقلا لأن الأنبياء عليهم السلام بعد النبوة معصومون عما يؤدى إلى الاخلال بالفرائض واقتحام الجرائم .

وقالت طائفة : أكلها ناسيا ومن الممكن أنهما نسيا الوعيد على الأكل

قال القرطبى وهـذا هو الصحيح قال لاخبار الله تعـالى حيث قال « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » ولـكن لمـا كان الأنبياء عليهم السلام يلزمهم التيقظ والتحفظ لـكثرة معارفهم وعـلو منازلهم كان تشاغله عن تذكر النهى تضييعا صار به مخالفا . قال أبو أمامة لو أن أحلام بنى آدم منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة وضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى كفة أخرى لرجحهم وقد قال تعالى « ولم نجد له عزماً » ويحتمل أن يخص من عموم كلام أبى أمامة نبينا ﷺ فانه كان أوفر الناس حلما وعقلا قال القرطبى ويحتمل أن يخص منه الأنبياء عليهم السلام .

وقالت طائفة تأول النهى على قربانهما معاً وعن أكلهما معا لا عن أكل كل واحد منهما على انفراده وهذا ضعيف فانه لا يفهم من قوله ولا تقربوا الزنا ونظيره النهى عن الاجتماع على ذلك دون الانفراد ، ويقال أول من أكل من الشجرة حواء باغراء إبليس لها وأن أول كلامه كان معها لانها وسواس المخدة وهي أول فتنة دخلت على الرجال من النساء فقال ما منعتما عن هذه الشجرة إلا أنها شجرة الخلد فلما قالت حواء لآدم أنكر عليها وذكر العهد فألح على حواء وألحت حواء على آدم إلى أن قالت أنا آكل قبلك حتى إن أصابنى شىء سلمت أنت فأكلت فلم يضرها فأتت آدم وقالت كل فانى قد أكلت فلم يضرنى فأكل فبدت لهما سوآتهما وحصل فى حكم الذنب لقوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » فجمعهما فى النهى فلذلك لم تنزل بهما العقوبة حتى وجد المنهى عنه منهما جميعاً وخفيت على آدم هذه المسئلة ولهذا قال بعض العلماء من قال لزوجتيه أو أمتيه ان دخلتما الدار فأنتما طالقتان أو حرتان فأن الطلاق والعتق لا يقع بدخول إحداهما فى أحد قولى العلماء واختاره بعض أصحابنا وابن القاسم المالكي . قال بعض أصحابنا لو قال ان حضتما فأنتما طالقتان فحاضت إحداهما لم يطلق واحدة منهما وإن حاضتا طلقتا . والقول الثانى فى المسألة تعتق وتطلق التي دخلت وحدها لأن

دخول كل واحدة منهما شرطا فى طلاقها أو عتقها ، واختاره أشهب المالكى وهو نظير ما قاله أصحابنا فى التدبير قال أحمد فى عبد بين رجلين قالا له إذا متنا فأنت حر ثم مات أحدهما عتقت حصته فقط فجعل أحمد موت كل واحد منهما شرطا فى عتق حصته . قال القرطبى الصحيح القول الأول فأن النهى إذا كان معلقا على فعلين لا تتحقق المخالفة إلا بهما فانك إذا قلت لا تدخلا الدار فدخل أحدهما ما وجدت الصفة فيهما لأن قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » نهى لهما « فتكونا من الظالمين » جوابه فلا تكونا من الظالمين حتى تفعلا فلما أكلت لم يصبها شىء لأن المنهى عنه ما وجد كاملا وخفى هذا المعنى على آدم فطمع ونسى هذا الحكم وهو معنى قوله تعالى :« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى » وقيل نسى قوله « إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » .

(قال بعض السلف) قال آدم عليه السلام مما يفضل به ابنه صاحب البعير ﷺ أن زوجته كانت له عونا على تبليغ أمر الله وأن زوجتى كانت عونا لى على المعصية .

وقال أبو محمد ابن حزم فى الملل والنحل لا براءة من المعصية أعظم من حال من ظن أن أحدا لا يحلف حانثا وهكذا فعل آدم عليه السلام فانه أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها ناسيا لنص القرآن ومتأولا وقاصداً إلى الخير لأنه قد رانه يزداد حظوة عند الله فيكون ملكا مقربا أو خالدا فيما هو فيه أبدا فأداه ذلك إلى خلاف ما أمر الله به وكان الواجب أن يحمل أمر ربه على ظاهره ولكن تأول وأراد الخير فلم يصبه ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجورا ولكن آدم لما فعل وأخرج عن الجنه إلى الدنيا كان بذلك ظالما لنفسه وقد سمى الله قاتل الخطا قاتلا كما سمى العامد والمخطىء يتعمد معصيه وجعل فى قتل الخطأ عتق رقبة وهو لم يعمد ذنبا انتهى فلعله يشير

إلى ما قاله بعض المتقدمين ، إن حسنات الأبرار سيآت المقربين فالنص وأن شهد عليه لم يخل بماضيه بل قد تلافاه واجتباه وهداه ومدحه وزكاه واختاره واصطفاه .

(وقال شيخ الإسلام) تقى الدين ابن تيمية وجماعة من المتأخرين الصواب أن آدم عليه السلام لما قاسمه عـــدو الله أنه ناصح وأكد كلامه بأنواع من التأكيدات أحدهما القسم والثانى الاتيان بجملة أسمية لا فعلية والثالث تصديرها بأداة التأكيد الرابع الإتيان بلام التأكيد فى الخبر الخامس الاتيان به اسم فاعل لا فعلا دالا على الحدث السادس تقديم المعمول على القليل فيه ولم يظن آدم أن أحدا يحلف بالله كاذبا يمين غموس فظن صدقه وأنه أن أكل منها لم يخرج من الجنة ورأى أن الأكل منها لم يخرج من الجنة ورأى أن الأكل وأن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح ولعله يتأتى له استدراك مفسدة اليمين فى أثناء ذلك باعتذار أو توبة كما تجد هذا التأويل فى نفس كل مؤمن أقدم على معصية .

(فصل) ولام موسى عليه السلام آدم على أكله من الشجرة وتحاجا فى ذلك كما فى الصحيحين وغيرهما قال النبى ﷺ فحج آدم موسى وفيه كلام طويل قال رقبة بن مصقلة مررت بقصار يلوى ثوبا فى يوم شديد البرد فقلت ما صنعت بكم الشجرة فقال لى ليتها لم تخلق فما رأيت أحداً أسرع جـــوابا منه .

(فصل) ونظير هذه القصة وتأويل الناس لهـــا قصته مع داود عليهما السلام ولم نجد من تأولهـا ووجهها قال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن بن عباس قال قال رسول الله ﷺ فى قول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنو إذ تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » إن أول ما جحد آدم عليه السلام إن الله تعالى

أراه ذريته فرأى رجلا أزهر ساطعا نوره فقال يارب من هذا قال هذا ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال يارب زد عمره قال لا إلا أن تزيده من عمرك قال وما عمري قال ألف سنة قال آدم قد وهبت له أربعين سنة قال وكتب الله سبحانه وتعالى كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضره الموت وجاءته الملائكة قال أنه قد بقي من عمري أربعون سنة قالوا إنك قد وهبته لابنك داود قال ما وهبت لأحد شيئا قال فأخرج الله تعالى الكتاب وشهد عليه ملائكته ورواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا أسود بن عامر عن حماد بن سلمة فذكره وزاد فيه فأتمها الله لداود مائة سنة وأتمها لآدم ألف سنة ورواه الحاكم بنحوه من حديث أبي هريرة وخطر لي فيه تأويلان .

(أحدهما) أن يقال قد ينزل هذا على الرجوع في الهبة فان قوله ﷺ « لا يحل لواهب أن يرجع في هبته إلا الوالد » قد ذهب طائفة من العلماء إلى الجد له الرجوع في هبته من ولد ولده وآدم جد داود فله أن يرجع فيما وهب من ولد ولده ، وبه قال الشافعي وابن عبد الحكم وأصحابنا في وجه أو رواية مخرجة عن الإمام أحمد وغيرهم .

(التأويل الثاني) أكثر العلماء على أن القبض معتبر في باب الهبة ولكن هل هو ركن في صحة الهبة أو شرط في لزومها فيه خلاف وقد قال زفر والقاضي أبو يعلى والغزالي وغيرهم أن القبض ركن في صحة الهبة فعلى قولهم لم يصدر هبة أصلا وعلى قول الآخرين صدرت هبة غير لازمة فساغ لآدم عليه السلام ما فعل بداود اتباعا لما شرعه ولد ولده محمد ﷺ وقد اتفق الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم على أن الهبة لا بد فيها من القبض فهذان وجهان حسنان في تأويل فعل آدم مع داود عليهما السلام ولهذا أعطى أكرم الأكرمين سبحانه آدم عليه السلام أجله كاملا ولم ينقص منه بهبته شيأ لأنه لم يصدر منه

أمر يقتضى نقصانه واعطى داود مائة كاملة تفضلا وتكرما كما دل على ذلك رواية الإمام أحمد الزائدة على مافى مسند الطيالسى .

(فصل) قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم وقد اختلف الناس فى هذه الكلمات بعد إتفاقهم على أنها اعتذار من آدم فقال سعيد ابن جبير ومجاهد والحسن هى قوله « ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وقال محمد بن كعب القرظى قوله لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم وقال عبيد بن عمير هى أن آدم قال يارب أرأيت ما أتيت شىء ابتدعته من تلقاء نفسى أم شىء قدرته على قبل أن تخلقنى قال لا بل شىء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والبكاء والدعاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وقال علقمة بن مرثد وغيره لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر منهم ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حين أخرجه الله من الجنة ، قال شهر بن حوشب بلغنى أن آدم لما هبط إلى الأرض بقى ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله سبحانه وتعالى وقيل هذه الكلمات هى المذكورة فى قصة إبراهيم « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن » و هى خصال مذكورة فى ثلاث مواضع من القرآن أحدها فى سورة التوبة « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » الثانى فى قوله تعالى « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون إلى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » والثالث فى سورة سأل سائل وهى

قوله « إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون إلى قوله أولئك فى جنات مكرمونَ » فهذه خصال لثلاث فرق من العلماء والحكماء والكبراء المرادين بقوله ﷺ « سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء » قال ولكل فرقة مقامات معدودة يترتب بعضها على بعض .

(فصل) واختلف الناس هل تلقى آدم هـــذه الكلمات فى الأرض أو تلقاها فى الجنة على قولين (أحدهما) أنه تلقاها من الله سبحانه وهو في الجنة وقبل الله سبحانه توبته وهو فى الجنة قال القرطبي لم يكن إخراج آدم من الجنة وإهباطه منها عقوبة له لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقبل توبته وإنما أهبطه تائبا إظهاراً للخلافة التى خلقه لهـا وليكلف أولاده ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم والجنة والنار ليستا بدار تكليف .

(والقول الثانى) أن تلقيه الكلمات وتوبته واعتذاره كان فى الدنيا وهذا هو المشهور * وعن عائشة رضى الله عنها قالت لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوه حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال « اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤالى وتعلم ما في نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على » فأوحى الله إليه يا آدم « قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه وكشفت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها « وذكر الأزرقى » فى تاريخ مكة شرفها الله نحوه ولم يذكر عن عائشة وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى البلدان يأمرهم أن يقولوا كما قال أبوهم آدم عليه السلام « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا

لنكونن من الخاسرين » وكما قال نوح عليه السلام « وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين » وكما قال يونس عليه السلام » فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » وكما قال موسى عليه السلام « رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم » وذكر أبو القاسم ابن عساكر عن ابن مسعود أن إدريس عليه السلام كان يدعو بدعوة يأمر أن لا يعلموها السفهاء « ياذا الجلال والإكرام يا ذا الطول لا إله إلا أنت ظهر اللاجين وجار المستجيرين وأنيس الخائفين أنى أسألك ان كنت فى أم الكتاب شقيا أن تمحو من الكتاب شقائى وتكتبنى عندك سعيدا قالت زينب بنت عقيل :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتى وأنصارى وذريتى ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم ... أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

فقال أبو الأسود الديلى نقول «ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » :

(فصل) وأما قصة الأبوين مع إبليس فى تسمية الولد فأعجب من الأكل من الشجرة قال تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » وقد قال المفسرون ان حواء لما حملت من آدم أتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما بهيمة ؟ إن لم تسمياه بى لم يخرج سويا فسميا ولدهما عبد الحرث وكانا سميا ولديهما عبد الله وعبيد الله فقبضهما الموت فقال لهما إبليس لو سميتماه بغير هذا الاسم لعاش

فسمياه عبد الحرث وهذا الأثر قاله ابن عباس وتلقاه عنه أصحابه مجاهد وسعيد ابن جبير وعكرمة وتبعهم المفسرون .

(والجواب عن ذلك) أن هذا المعنى مأخوذ عن أهل الكتاب وابن عباس أخذه عن أبى بن كعب وأخبار أهل الكتاب ثلاثة أقسام ما علم صحته وما علم كذبه ومسكوت عنه فى الكتاب والسنة وقوله ﷺ « حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » هو المسكوت عنه ، وهذا الأثر المنقول عن ابن عباس هو من القسم الثانى الذى قد علم كذبه والمفسرون يرون أنه من القسم الثالث وفيه نظر والمختار عندنا أن المراد من سياق الآية المشركون من ذرية آدم لا آدم وحواء ولهذا قال تعالى « فتعالى الله عما يشركون » وقد صح هذا التفسير صريحا عن الحسن قال الحسن جعلا له شركاء فيما آتاهما قال كان هذا فى بعض أهل الملل ولم يكن لآدم وفى رواية عنه كأنهم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا وعلى هذا تكون الآية الكريمة على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والتقدير شركاء فيما أتى أولادهما واعترض على هذا بأن قوله « فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء » يقتضى أنه جعل الشركاء حين آتاهما صالحا ولا شك أن جعل الأولاد ليس فى ذلك الحين ولصحة هذا التفسير عن الحسن علمنا أن الحديث المرفوع فى هذا الباب ليس بصحيح قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبى ﷺ قال « لما ولدت حواء طاف بها الشيطان وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فأنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان » رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد قلنا معلول لأن عمر بن ابراهيم فيه نظر ولأنه جاء موقوفا على سمرة وهو أصح ولأن الحسن قرأ الآية لغير ذلك ولو كان عنده مرفوعا لما عدل عنه وهذا مخالف للقرآن فى قوله تعالى « فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه » فلو صح هذا الحديث لكان قد علم كيف

يوارى سوأة أخيه ولم يحتج إلى الغراب ولما تكلم فى الآية طائفة من المتكلمين أجابوا عنها بجواب فيه نظر قالوا هذه الآية مشكلة لأن هذه الفتن أقدمت على الشرك كما قال «فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون» والشرك لا يليق بآدم فقال المحققون منهم الواحدى المراد من هذه الفتن قصى بن كلاب والشرك الصادر منه هو أنه سمى أولاده عبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والله أعلم فيكون الخطاب فى الآية الكريمة لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصى إلى قوله فى قصة أم معبد .

فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد

وكيف يصح التفسير الأول وهو سبحانه وتعالى حكى عنهما التوبة من أكل الشجرة ولم يحك عنهما فى هذا توبة فلو كان صدر ذلك من آدم وحواء لكانا قد تابا وكيف يجرى لهما مع إبليس ما جرى ثم يعود لهما ويطلب منهما هذا المعنى الذى هو أعظم ويطيعانه فى ذلك وفى ألفاظ المفسرين هنا عجائب كقولهم ان إبليس قال لحواء ان لم تطيعينى لأجعلن له قرنى ايل فإذا خرج شقك وقال الثعلبى قال المفسرون المراد بالشرك المضاف إليهما الشرك فى التسمية والصفة لا فى العبادة والربوبية وقيل قصد أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه كقولهم عبد الضيف على جهة الخضوع قال حاتم .

وإنى لعبد الضيف ما كان ثاويا وما فى إلا تيك من شيمة العبد

(الفصل الثالث هل للشيطان سلطان على بنى آدم أم لا)

قال الله تعالى فى سورة الحجر (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) وقد فسروا العباد هنا بالمطيعين وبالمعصومين والسلطان هنا الحجة أى ليس لك حجة فى إغوائهم وقال أبو سليمان الدمشقى هو القهر

والغلبة إنما له أن يغوى ويزين قال تعالى فى سورة النحل (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فتضمن ذلك أمرين أحدهما نفى سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والاخلاص ، والثانى إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه .

(فان قيل) هذا يشكل بقوله تعالى فى سورة سبأ (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ) فقد نفى هنا أن يكون له سلطان عليهم وهو ينافى قوله إنما سلطانه على الذين يتولونه فما الجامع .

(قلنا) ان كان الضمير فى قوله وما كان له عليهم من سلطان عائداعلى المؤمنين فالسؤال ساقط ويكون الاستثناء منقطعا أى لكن امتحانهم بابليس لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك وان كان عائداً على ما عادعليه فى قوله ولقدصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه ويكون المعنى وما سلطانه عليهم إلا لنعلم من يؤمن بالاخرة قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل الله النظرة فانظره قال لأغوينهم ولأضلنهم ولآمرنهم ولاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا وليس هو فى وقت هذه المقالة يتيقن ان ذلك يتم له وإنما قاله ظانا فلما اتبعوه وصدق عليهم ماظنه فيهم فقال ما كان تسليطنا اياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين يعنى نعلمهم موجودين ظاهرين فيحق القول ويقع الجزاء وحينئذ يكون السلطان ههنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها وهم الذين تولوه وأشركوا به فيكون السلطان ثابتا لا منفيا فاتفقت الآيات قال ابن عقيل فى الفنون كانت قرائح علماء السلف موزعة بين توصل إلى علم أو جلب مال أو نفع أو دفع ضرر وأرى قرائح علماء زماننا ذوى أنساب وشباب ومشايخ لا تنصرف قرائحهم إلا فى الأذى وفتح أبواب الشر فنعوذ بالله من هذا الزمان وأهله

ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وظنه قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم إلى قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فهذا قاله ظنا ولا طريق إلى القطع وإنما ظن ذلك لأنه رأى أنه قد تم له على الأب الأول مع التزام الحق له فيه باسجاد المسبحين ووصية الله له ان هذا عدولك ولزوجك ثم أخرجهما فظن أنه يتملك نواصى الأولاد فاستدل بالأول .

(فان قيل) فما تصنع بقوله فى سورة إبراهيم عن الشيطان حيث يقول لأهل النار « وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى » وان كان هذا قول الشيطان فقد أخبر الله عنه مقرا لا منكرا فدل على أنه كذلك .

(قلنا) السلطان المنفى فى هذا الموضع هو الحجة والبرهان أى ما كان لى من حجة وبرهان احتج به عليكم كذا قال ابن عباس انى ما أظهرت لكم حجة إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى وصدقتم مقالتى واتبعتمونى بلا برهان ولا حجة وأما السلطان الذى أثبته فى قوله إنما سلطانه على الذين يتولونه فهو تسليطه عليهم بالأغواء والاضلال وتمكنه منهم بحيث يؤزهم إلى الكفر والشرك ويزعجهم إليه كما قال « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » .

قال ابن عباس تغريهم إغراء وتشليهم إشلاء وذلك أن الأز هو التحريك والتهييج ومنه يقال لغليان القدر أز لأن الماء يتحرك عند الغليان وقد جعل أبو عبيدة للأز على معنيين أحدهما التحرك والثانى الإيقاد والالتهاب فهذا من السلطان الذى له على أوليائه وليس له ذلك سلطان وحجة وبرهان بل استجابوا له لما دعاهم لما وافق هواهم فهم الذين مكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بمتابعتهم إياه فسلط عليهم عقوبة لهم وبهذا يظهر معنى قوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فالآية على عمومها وظاهرها وإنما المؤمنون

يصدر منهم من المعصية والمخالفة التى تضاد الإيمان ما يصير للكافرين سبيلا عليهم بحسب تلك المخالفة وهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم كما تسببوا يوم أحد بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفته ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل للشيطان على العبد سلطانا حتى جعل له العبد سبيلا بطاعته فجعل الله حينئذ له عليه سلطانا وقهراً فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه واسم العبد يتناول معنيين أحدهما بمعنى العابد كرها كما قال إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً وقال وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها والثانى بمعنى العابد وهو الذى يعبده ويستعينه وهو المذكور فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وقوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وهذه العبودية قد يخلو الإنسان منها تارة فيتسلط عليه الشيطان وأما الأولى فوصف لازم فإن جريان القدر عليه وتصريف الخالق له وفقر المخلوق وحاجته أمر ذاتى لا وجود له بدون ذلك فالتوكل والتوحيد والإخلاص يمنع سلطانه لكن قد يخلو الانسان من هذه العبودية والشرك وفروعه وما يوجب سلطانه والجميع بقضاء من أزمة الأمور بيديه ومردها إليه وله الحجة البالغة ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولكن أبت حكمته وحمده وملكه إلا ذلك ، فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم » قال عمر بن عبد العزيز لو أراد الله أن لا يعصى لما خلق إبليس (فإن قيل) إذا لم يكن للشيطان سلطان على المطيعين ولا المؤمنين ولا أهل العصمة فكيف تنزيل قصة آدم وحواء وتنزيل قصة موسى قال الإمام أحمد فى الرد على الجهمية قال الزنادقة هذا تناقض لقوله عن موسى حين قتل النفس هذا من عمل الشيطان وحديث الوادى الذى نام فيه النبى ﷺ عن زيد بن أسلم قال عرس رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة ووكل بلالا يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس فاستيقظ القوم قد

فزعوا فأمرهم رسول الله ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى وقال هذا واد فيه الشيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ثم أمرهم النبى ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضؤا وأمر بلالا أن ينادى بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ بالناس ثم انصرف وقد رأى من فزعهم فقال أيها الناس : إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا فى حين غير هذا فاذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع إليها فليصلها كما كان يصليها فى وقتها ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبى بكر الصديق فقال إن الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلى فأجمعه ثم لم يزل يهديه كما يهدى الصبى حتى نام ثم دعا رسول الله ﷺ بلالا فأخبر بلال رسول الله ﷺ مثل الذى أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر فقال له أبو بكر رضى الله عنه أشهد أنك رسول الله . رواه مالك فى الموطأ مرسلا، وقد جاء فى المسند والصحيحين والسنن حديث الوادى هذا على وجوه وهذا لفظ يناسب لمعنى الآية الكريمة وقال تعالى عن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ إنما إستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا (قلنا) معنى الآية عند أهل العلم ليس له سلطان على قلوبهم ولا مواضع إيمانهم قال الثعلبى قال أهل المعانى معنى قوله ليس لك عليهم سلطان تلقيهم فى ريب يضيق عنه عفوى . قال القرطبى ويحتمل أن قوله ليس لك عليهم سلطان خاص بمن حفظ الله ويحتمل أن يكون فى أكثر الاوقات والاحوال وقد يكون فى تسليطه تفريج كربة وإزالة غمة كما فعل ببلال رضى الله عنه فأتاه يهديه كما يهدى الصبى حتى نام ونام النبى ﷺ وأصحابه فلم يستيقظوا وفزعوا وقالوا ما كفارة ماصنعنا فقال ليس فى النوم تفريط ففرج عنهم .

قال الامام أحمد فى الرد على الجهمية معنى الآية ليس لابليس عليهم سلطان أن يضلهم فى دينهم أو فى عبادة ربهم ولكن يصيب منهم من قبل الذنوب لا فى الشرك انتهى وقد سبق تفسير السلطان فى الآية بالحجة وبالقدرة والصواب أن يقال ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة ولا من

جهة القدرة والقدرة داخلة فى مسمى السلطان وإنما سميت الحجة سلطانا لأن صاحبها يتسلط بها تسلط صاحب القدرة بيده وقوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان اخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال وكفى بربك وكيلا أى حافظا ومؤيدا وناصرا ونصيرا .

قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى هريرة رضى الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بعيره فى السفر ، قوله ينصى : أى يأخذ بناصيته ويقره . قوله إلا من اتبعك من الغاوين ، والغى اتباع الهوى ، وقال تعالى فى حق يوسف : « كذلك لنصرف عنـــه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » . فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع أنها متزوجة فيما وقعت فيه من السوء ، ويوسف عليه السلام مع غربته ومراودتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على المعصية عصمه الله بإخلاصه لله تحقيقا لقوله تعالى « يوسوس فى صدور الناس ، ولم يقـل فى قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات إليه فتجتمع فى الصدر ثم تلج فى القلب فهو بمنزلة الدهليز ومن القلب تخرج الأوامر والارادات إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود ومن فهم هذا فهم قوله تعالى « وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم » فالشيطان يدخـــل إلى ساحة القلب وبيته فيلقى ما يريد إلى القلب فهو يوسوس فى الصدور ويوصله إلى القلب ولهذا قال فوسوس إليه الشيطان ولم يقل فيه لأن المعنى أنه ألقى ذلك وأوصله إليه فدخل فى قلبه والله أعلم .

(الفصل الرابع فى التحصن من الشيطان بذكر الله تعالى)

قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » وفى هذه الآية فوائد .

(منها) أن أصل أمر المتقين السلامة منه و إن عرض طيف بعض الأحيان

(ومنها) إذا مسهم والمس ملامسة من غير تمكن كفار فإن الشيطان يتجرأ عليهم ويختلس من قلوب المتقين المؤمنين حين تنام العقول الحارسة للقلوب فاذا استيقظوا أنبعث من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة إلى الله تعالى والافتقار فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما افترسه .

(ومنها) أنه أشار بالطيف إلى أنه لا يمكنه أن يأتى القلوب الدائمة المتيقظة إنما يأتى القلوب فى حين منامها يرجو غفلتها ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه .

(ومنها) أن الطيف لا ثبوت له بخلاف الوارد وذلك لا يضر لأنه شبه الطيف الذى فى منامك فاذا استيقظت فلا وجود له .

(ومنها) أنه قال تذكروا ولم يقل ذكروا إشارة إلى أن الغفلة لا يطردها الذكر من غفله القلب إنما يطرد التذكر والاعتبار لأن الذكر ميدانه اللسان والتذكر ميدانه القلب .

(ومنها) إنه قال تذكروا حذف متعلقة ولم يقل تذكروا الجنة والنار والعقوبة لأن التذكر الماحى لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب المتقين ومرتبة التقوى يدخل فيها الأنبياء والرسل والصديقون والأولياء والصالحون والمسلمون فتقوى كل واحد على حسب مقامه فلو ذكر قسما من أقسام التذكر لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم .

(ومنها) قوله سبحانه فاذا هم مبصرون كأنه لم يذكر أعلى من ذلك منا منه سبحانه عليهم كأنهم لما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة فأشرقت شمس البصيرة .

(ومنها) التوسيع على المتقين لأنه لو قال إن الذين اتقوا لا يمسهم طيف

من الشيطان خرج كل أحد إلا أهل العصمة فأراد سبحانه أن يوسع دوائر رحمته * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم وليلة مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائه حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ، متفق عليه * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له عدل رقبة من ولد اسماعيل عليه السلام وكتبت له عشر حسنات وحط عنه عشر خطيئات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسى وإن قالها إذا أمسى كان مثل ذلك حتى يصبح » رواه أبو داود وابن ماجه باسناد جيد * وعن عطية عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله يقول الملك هديت فاذا قال لاحول ولا قوة إلا بالله يقول الملك وقيت فاذا قال توكلت على الله يقول الملك كفيت قال فيقول الشيطان عند ذلك كيف لنا بمن هدى ووقى وكفى * وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا خرج الرجل من منزله فقال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله تبارك وتعالى هديت ووقيت وكفيت قال فيلقى الشيطان الشيطان فيقول له كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى » راه الدينورى في كتاب المجالسة ، ومعناه رواه أبو داود والحديث رواه الخمسة إلا ابن ماجه ولفظهم يقال فعل ما لم يسم فاعله وفي حديث أبي سعيد قال الملك وفي هذا اللفظ قال الله عز وجل وقال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو جعفر الرازى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن صالح ابن كيسان عن عثمان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من خارج يخرج من بيته يريد السفر أو غيره فقال حين يخرج بسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله إلا رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شر ذلك المخرج ، وقد روى أحمد وأبو داود والترمذى وقال

حسن صحيح عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها » فذكر التوحيد والصلاة والصيام والصدقة ثم قال وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله .

(قال البخارى فى الصحيح) قال عثمان بن الهيثم يعنى المؤذن حدثنا عوف عن محمد ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أمرنى رسول الله ﷺ أن أحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فى جوف الليل فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك إلى رسول الله ﷺ فقال دعنى فإنى محتاج فخليت سبيله فقال النبى ﷺ بعد ما صلى الغداة يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة أو الليلة فقلت يارسول الله شكا حاجة فخليت سبيله وزعم أنه لا يعود قال أما أنه قد كذبك وسيعود قال فرصدته وعلمت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ قال ثم أتى فجعل يحثو من الطعام فأخذته فشكا حاجة فخليت عنه وزعم أنه لا يعود فقال أما إنه قد كذبك وسيعود وعلمت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فجاء فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله فقال دعنى حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وكانوا أحرص شىء على الخير فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لا إله إلا هو الحى القيوم فإنه لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان فخليت سبيله فقال رسول الله ﷺ مافعل اسيرك يا أبا هريرة فأخبرته فقال صدقك وإنه لكاذب تدرى من تخاطب منذ ثلاث ذاك الشيطان ذكره البخارى فى كتاب الوكالة وفى صفة ابليس وفى فضائل القرآن تعليقا عن عثمان ولم يذكر أنه سمعه ورواه النسائى وابن خزيمة وقد روى نحو هذا الحديث عن أبى كعب وأبى أيوب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبى

اسيد ومالك بن ربيعة الأنصارى رضى الله عنهم وقد جمع الحافظ ضياء الدين فى ذلك جزءاً وقال أبو عبيدة فى كتاب الغريب حدثنا أبو معاوية عن أبى عاصم الثقفى عن الشعبى عن عبد الله بن مسعود قال خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه فقال إنى أراك ضئيلا كأن ذراعيك ذراعا كلب أهكذا أنتم أيها الجن أم أنت من بينهم قال إنى فيهم لضليع فعاودنى فعاوده فصرعه الانسى قال أتقرأ آية الكرسى فإنه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خبج كخبج الحمار فقيل لابن مسعود أهو عمر فقال من عسى أن يكون إلا عمر رضى الله عنه . الخبج بالخاء المعجمة والباء الموحدة وهو الضراط .

وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لقى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ الشيطان فى زقاق من أزقة المدينة فدعاه الجنى إلى الصراع فصرعه الانسى فقال دعنى قال فهل لك فى المعاودة ففعل وجلس على صدره وقال أراك نحيفا ضئيلا كأن ذراعيك ذراعا كلب أهكذا أنتم أيها الجن أو أنت من بينهم كذلك قال والله إنى فيهم لضليع فقال ما أنا بالذى أدعك حتى تخبرنى ما يعيذنا منكم قال آية الكرسى فقال رجل لعبد الله بن مسعود ومن ذاك الرجل أعمر هو فعبس وبسر فقال ومن عسى أن يكون الرجل إلا عمر النحيف الرقيق والضئيل المهزول .

وقال عباس الدورى سمعت يحيى بن معين يقول كنت إذا دخلت منزلى قرأت آية الكرسى مرة فبينا أنا ذات ليلة أقرؤها فإذا هاتف يقول كم تقرأ هذه ليس أحد يحسن يقرؤها غيرك فقلت مجيبا له وارى هذا يسؤك والله لأزيدنك فصرت أقرأها فى الليلة خمسين أو ستين مرة . قال عباس فحدثت بهذا محمد بن سهل فقال كان جريئاً على الإنس والجن أو كما قال وعن

عبد الله بن حبيب الجهنى قال خرجنا فى ليلة مطيرة مظلمة شديدة فطلبت رسول الله ﷺ ليصلى لنا فأدركته فقال قل فلم أقل شيئاً قال قل فلم أقل شيئاً قال قل قلت يارسول الله وما أقول قال هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء . رواه عبد الله ابن الإمام أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه والضياء فى المختارة .

وعن أبى بكر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال أهلكت بنى آدم بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى ، وقال مجاهد مامن شىء أكسر لظهر ابليس من لا إله إلا الله .

عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قرأ الآيتين من آخر سوره البقرة فى ليلة كفتاه متفق عليه قيل كفتاه من قيام الليل وفى حديث مرفوع من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه من قيام الليل آمن الرسول إلى آخر البقرة وقيل كفتاه من شر الشيطان فلا يكون له عليه سلطان وفى حديث مرفوع إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام فأنزل منه هذه الثلاث آيات التى ختم بهن البقرة من قرأهن فى بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال قال الشيخ محيى الدين ويجوز أن يراد القولان معا كفتاه من الآفات ومن قيام الليل وقال ابن عباس الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله خنس وجاء مرفوعا من حديث أنس قال ، سرى السقطى بلغنى أن أمرأة كانت إذا قامت من الليل قالت اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ناصيته بيدك يرانى من حيث لا أراه وأنت تراه من حيث لا يراك اللهم إنك تقدر على أمره

كله وهو لا يقدر من أمرك على شيء اللهم إن أرادني بشر فاردده وإن كادني فكده أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها فقيل لها اتقي الله لئلا تذهب الأخرى فقالت إن كانت عيني من عيون أهل الجنة فسيبدلني الله ما هو أحسن منها وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدها الله وقال أبو عبد الرحمن الحبلي إذا اجتمع قوم على ذكر الله خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد يقول لهم انظروا هل قاموا فيقولون لا فيضرب كبده فيقولون له ما بالك تضرب كبدك فيقول إنما أخشى عليهم الرحمة فلا يعذبون أبداً وقال ابن مسعود قعد قوم يذكرون الله عز وجل فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم وقاموا يقتلون وليس يريدهم فقام الذين يذكرون الله يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم رواه ابن أبي الدنيا ، وقال بشر بن منصور عن وهيب بن الورد خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل فسمع حسا وأصواتا شديدة وجيء بسرير وجاء شيء جلس عليه واجتمع إليه جنوده ثم صرخ من لي بعروة بن الزبير فلم يجبه أحد حتى تابع ما شاء الله من الأصوات فقال واحد منهم أنا أكفيكه قال فتوجه نحو المدينة وأنا أنظر ثم أوشك الرجعة فقال لا سبيل إلى عروة قال ويلك لم قال وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا يخلص إليه قال الرجل فلما أصبحت قلت لأهلي جهزوني فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دللت عليه فاذا شيخ كبير فقلت شيء تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت فأبى أن يخبرني فأخبرته بما رأيت وبما سمعت فقال ما أدري غير أني أقول إذا أصبحت آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمكست بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم إذا أصبحت قلت ثلاث مرات وإذا أمسيت ثلاث مرات .

(وقيل لبعض العارفين) كيف مجاهدتك الشيطان قال وما الشيطان نحن قوم صرفنا همنا إلى الله تعالى فكفانا شره .

(وقال بعضهم) لما قال الله « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فقوم فهموا من هذا الخطاب إن الله طالبهم بعداوة الشيطان فصرفوا هممهم إلى عداوته فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان لكم عدوا وأنى لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الله فكفلهم من دونه قيل الحكمة فى إيجاد الشيطان أن يكون مظهراً ينسب إليه أسباب العصيان والغفلة والنسيان قال تعالى «وما أنسانيه إلا الشيطان . هذا من عمل الشيطان» فكان سر إيجاده ليمسح بسببه أوساخ النسب .

(قال بعض العارفين) هو منديل هذا الدار ، والشيطان كالذكر والنفس كالأنثى وحدوث الذنب بينهم كحدوث الولد من الأم والأب لأنهما أوجداه ولكن منهما كان ظهوره فكما لا يشك عاقل أن الولد ليس من خلق الأبوين ولا من إيجادهما فنسب إليهما بظهوره عنهما كذلك المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس فكانت عنهما لا منهما فلظهورهما عنهما نسبت اليهما فنسبة المعصية إلى الشيطان والنفس نسبة إضافة وإسناد ونسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد كما أنه خلق الطاعة بفضله كذلك هو خالق المعصية بعدله قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا قال عمر بن عبد العزيز لو أراد الله أن لا يعصى لما خلق إبليس وقال الإمام أحمد فى المسند أنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن أبى التياح يزيد بن حميد قال سأل رجل عبد الرحمن بن حبيش وكان شيخا أدرك النبى ﷺ كيف صنع ﷺ حين كادته الشياطين قال تحادرت عليه الشياطين من الأودية والجبال يريدون رسول الله ﷺ وفيهم شيطان معه شعلة نار وفى رواية ذكرها ابن أبى الدنيا شمعة من نار وفى آخره طفئت شمعته وخر على وجهه يريد أن يحرقه بها فلما رآهم وجل وجاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل قال وما أقول قال قل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها

ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الاطارقا بخير يارحمن فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله تعالى ورواه البزار حدثنا ابراهيم بن مرزوق حدثنا جعفر قال البزار لم يروه غير عبد الرحمن بن حبيش فيما علمت .

(قلت) قد جاء من حديث خالد بن الوليد وسيأتى فلله سبحانه وبحمده الكلمات الكونية المذكورة فى قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وهي التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بها فى هذا ورغب فيها كما روت خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله » رواه مسلم .

وقالت طائفة : المراد بالكلمات التامات هذه هي القرآن وهو ما ذكره الخطابى وقال وصفه بالتمام تنزيها له أن يلحقه نقص وكان فى زمن الوالد والجد رحمة الله عليهما يوردان ذلك فى الجامع مؤكدا ويقولون أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق فبعد ذلك بيسير زعم ابن المحب رحمه الله وتبعه من صنف فى أذكار المساء والصباح أن لفظ كلها لم ترد فى حديث وأنكروا ذلك فراجعت أبا بكر بن المحب الحافظ فرجع وقال بل صحت هذه اللفظة وراجعت من تبعه ونهيته على ذلك فلم يرجع واعتمدوا على أن كلمات الله تعالى لا نهاية لها وما لا نهاية له لا ينحصر وما لا ينحصر لا يقبل التأكيد وبأنه لم يرد .

(قلت) المستعاذ به هي الكلمات الكونية عند طائفة أو القرآن عند آخرين وكلاهما يقبل التأكيد فتقول قرأت القرآن كله ولاسيما وقد صحت الرواية بذلك قال الإمام أحمد فى المسند حدثنا أبو معاوية حدثنا حجاج عن الربيع بن مالك عن خولة بنت حكيم قالت قال رسول الله ﷺ « من

نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم يضره فى منزله ذلك شيء حتى يظعن عنه » صحيح وجاء من وجوه أخر قيل فى حديث أبى هريرة أن رجلا قال يارسول الله لدغت البارحة فلم أنم حتى أصبحت فقال رسول الله ﷺ أما أنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضبك لدغة عقرب حتى تصبح فاختلفت العبارتان فى حديث خولة وحديث أبى هريره (قلنا) لا إختلاف ولا تعارض فحديث أبى هريرة فى المقيم وحديث خولة فى المسافر تخفيفا ورحمة وتوسعة عليه شأن المسافر التخفيف عنه فى الصلاة والصيام وعن أبى العالية عن خالد بن الوليد أنه شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنى أجد فزعا بالليل فقال « أعلمك كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام وزعم أن عفريتا من الجن يكيدنى : قل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن » . رواه الطبرانى والحافظ الضياء فى المختارة وهذا يشهد لحديث عبد الرحمن بن حبيش السابق .

وذكر مالك فى الموطأ عن كعب الأحبار قال لولا كلمات أقولها لجعلتنى اليهود حمارا قيل له وماهن قال أعوذ بوجه الله العظيم أى ليس شيء أعظم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسمائه الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ .

عن بريدة رضى الله عنه قال : شكى خالد بن الوليد إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما أنام من الأرق فقال رسول الله ﷺ « إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين السبع وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا

أن يفرط على أحد منهم أو أن يبغى على عز جارك وجل تناؤك ولا إله غيرك رواه الترمذى بإسناد ضعيف .

وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن الأعمش عن عمامة بن عقبة عن الحرث ابن سويد عن عبد الله بن مسعود قال : إذا كان إماما تخاف عترسته[1] فقل اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارا من فلان .

(الفصل الخامس فى عقد الشيطان على قافية ابن آدم كل ليلة)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى إنحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مسلم ذكر ولا أنثى ينام إلا وعليه جزير معقود فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة وإن هو توضأ ثم قام إلى الصلاة أصبح نشيطا قد أصاب خيرا وقد انحلت عقده كلها وإذا أصبح لم يذكر الله أصبح وعقده عليه وأصبح ثقيلا كسلان لم يصب خيرا .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « رجل من أمتى يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور فاذا وضأ يديه انحلت عقدة ووجهه انحلت عقدة وإذا مسح رأسه انحلت عقدة فاذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب أنظروا إلى عبدى هذا يعالج نفسه ما سالنى عبدى فهو له . رواهما ابن حبان فى صحيحه .

---

(١) العترسة الغضب قاله ابن فارس ويقال العترسة الأخذ بشدة ورجل عترس بكسر العين شديد غليظ أو غضبان جبار اهـ مصباح .

وقال فى حديث عقبة إن الشيطان قد يعقد على مواضع الوضوء من المسلم العقد على قافية رأسه عند النوم ، وقد اختلف الناس فى هذه العقد هل هي حقيقة أو مجاز على قولين أحدهما أنه مجاز واستعارة لأن عقد بنى آدم يمنع المعقود عليه من التصرف فكذلك ما يفعله الشيطان بالنائم مما يمنع ما ينبغى له من ذكر الله والصلاة وهذا قول الطحاوى ، الثانى ان ذلك عقد من الشيطان حقيقة جريا على ظواهر الأحاديث ويؤيده قوله ﷺ(١) ثلاث عقد ولو كان ولو كان على وجه المجاز لما كان فى العقد فائدة ولقوله جرير معقود فذكر العقد فى الجرير والجرير بالجيم المعجمة الحبل قاله أهل اللغة ولأنه قال إذا ذكر الله انحلت عقدة وإذا توضأ انحلت عقدة وإن صلى انحلت عقدة فانحلت العقد كلها وهذا مما يمنع المجاز وأحاديث هذا الباب يحتمل أن يقال أنها على عمومها وأن من لم يذكر الله بعد منامه ولم يتوضأ ولم يصل يصبح خبيث النفس كسلان وأن من فعل ذلك نشط وأصبح قوى الهمة عملا بظواهر الأخبار ويحتمل أن يقال هذا يخص منه من ذكر الله تعالى عند المنام وأتى

---

(١) قال الحافظ فى شرح البخارى وقد اختلف فى هذه العقد فقيل هو الحقيقة وانه كما يعقد الساحر على من يسحره وأكثر من يفعله النساء تأخذ إحداهن الخيط فتعقد عقدة وتتكلم عليه بالسحر فيتأثر المسحور عند ذلك ومنه قوله تعالى « ومن شر النفاثات فى العقد وعلى هذا شىء معقود عند قافية الرأس لا قافية الرأس نفسها وهل العقد فى شعر الرأس أو فى غيره الأقرب الثانى إذ ليس لكل أحد شعر ويؤيده ما ورد فى بعض طرقه أن على رأس كل آدمى حبلا ففى رواية ابن ماجة ومحمد بن نصر من طريق أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا « على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد » ولأحمد من طريق الحسن عن أبى هريرة بلفظ « إذا نام أحدكم عقد على رأسه جريرة ولابن خزيمة وابن حبان من حديث جابر مرفوعا « ما من ذكر ولا أنثى إلا وعلى رأسه جرير معقود » الحديث وفى الثواب لآدم بن أبى إياس من مرسل الحسن نحوه وفهم بعضهم من هذا أن العقد لازمة ريرده التصريح أنها تنحل بالصلاة فيلزم إعادة عقدها فأبهم فاعله فى حديث جابر وفسر فى حديث غيره وقيل هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده كأن هذا مثله من الشيطان للنائم وقيل المراد به عقد القلب وتصميمه على الشىء كأنه يوسوس له بأنه بقى من الليل قطعة طويلة فيستأخر عن القيام . انتهى

بالأذكار والأوراد المشروعة والتعوذات المأثورة وأن من فعل ذلك لا يدخل فى هذا الحديث ويدل على ذلك أن أبا هريرة نفسه راوى الحديث وقد صح عنه أنه قال أوصانى خليلى بصوم ثلاثة أيام من كل شهر وركعتى الضحى كل يوم وأن أوتر قبل أن أنام فكان يفعل ذلك ، ولو كان حديث عقد الشيطان على رأس كل أحد عاما لما ترك أبو هريرة الوضوء والذكر والصلاة فدل على إنه مخصوص بمن لم يأت بالأذكار المشروعة وأبو هريرة راوى حديث آية الكرسى لا يقربك شيطان كما سبق .

وفى الصحيحين « من قرأ أواخر البقرة فى ليلة كفتاه ، وغير ذلك مما ورد به التحصن من الشيطان .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفر لى غفر له أو قال فدعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ، رواه أبو نعيم وهو فى صحيح البخارى بقريب من هذا اللفظ ، وقد قيل إن النبى ﷺ إنما أوصى أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فأمره بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا أمره أن لا ينام حتى يوتر ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة ، لكن جاء صحيح البخارى أن أبا هريرة هو وامرأته وخادمه اعتقبوا الليل أثلاثا فيقوم هذا ثم هذا فيحتمل أن أبا هريرة فعل ذلك فى أواخر الأمر جمعا بين الكل ، وقال بعض الناس إنما أمر أبا هريرة بالوتر قبل النوم لأنه لم يكن له دنيا ولا كسب فقنع منه باليسير من العمل بأخذه اليسير من الدنيا ، وهذا معروف عند الصوفية من انقطع منهم قنعوا منه بانقطاعه مع شىء ما من العمل ومن تسبب أمروه بكثرة الأعمال والمبادرة إلى الخيرات لأنه بالانقطاع

يبقى قلبه مقبلا على ربه والمطلوب من آدم الحضور فى كل أوقاته وقد هتف ببعضهم فقيل له ادخل الدار يسكنها صاحبها .

وقد ذكر ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل عن بكر بن محمد العابد قال سفيان الثورى القراءة لا تلمح إلا بالزهد فازهد وتم وصل الخمس .

وقال الامام أحمد فى المسند حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن أنس قال كنا جلوسا عند النبى ﷺ فقال « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه فعلق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال النبى ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال ﷺ مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله أى تبع الرجل ابن عمرو بن العاص فقال إنى لاحيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فأن رأيت أن تأوينى ثلاثا حتى تمضى فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وانقلب على فراشه ذكر الله تعالى وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر غير إنى لم أسمعه يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث ليال وكدت أحتقر عمله فقلت يا عبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرات فأردت أن آوى لأنظر عملك لاقتدى به فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ قال ماهو إلا ما رأيت غير إنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله هـــذا الذى بلغ بك وهى التى لا نطيق » حديث حسن .

(الفصل السادس فى أكل الشيطان وقيئه وبوله)

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ذكر رجل عند النبى ﷺ نام حتى أصبح فقال « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه أو قال أذنه » متفق عليه قال الطحاوى بال ليس على حقيقة البول بل على المثل والاستعارة أى فعل به أقبح ما يفعل بالنائم ثم قال وهذا لتضييع عشاء الآخرة وفعل المكروه من النوم قبلها انتهى .

وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « مررت ليلة أسرى بى فإذا بقوم تضرب رؤسهم بالصخر فقلت ياجبريل ما هؤلاء قال هؤلاء من أمتك قلت وما حالهم قال كانوا ينامون عن العشاء الآخرة » . قال ابن عبد البر هذا الحديث مع ضعفه معناه أنهم ينامون عنها ولا يصلونها . قال وعلى ذلك حمل الطحاوى حديث ابن مسعود من نام حتى أصبح بال الشيطان فى أذنه .

وقال ابن الجوزى فى كشف المشكل فيه وجهان أحدهما أنه على ظاهره وفى القرآن أن الشيطان ينكح قال تعالى « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان وقال أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى » قال الأصمعى خرج رجل بحضرموت وإذا بنت الغول وهى ساحرة الجن فهرب فدخل بئراً فبالت عليه فخرج من البئر وقد تمعط شعره ولم يبق عليه شىء وفى الحديث أنه يأكل ويشرب فلا يمتنع أن يكون له بول وإن لم يظهر فى الحس الثانى أنه مثل شبه الغافل عن الصلاة بالنوم بمن وقع البول فى أذنيه فثقل سمعه وفسد حسه والعرب تضرب المثل بمثل هذا قال الراجز .

بال سهيل فى الفضيخ ففسد وطاب البان اللقاح وبرد

وأراد طلع سهيل فجعل طلوعه فى افساد الفضيخ بمنزلة البول فيه وقال

الوالد يتوجه أن البول على ظاهره وقال بعض أصحابنا فيكون بوله وقيئه طاهرا وهذا غريب قد يعايا به (قلت) وقد صح أنه يهرب من الاذان وله ضراط وقد يتأول ذلك من تأول البول والاظهر جرى ذلك على ظاهره .

وفى كتاب الألقاب للشيرازى عن الحافظ قال سمعت يزيد بن هرون يقول خلق الجوز من ضراط ابليس ، وقال الأعمش تعبد رجل من بنى إسرائيل فى غار فبعث ابليس شيطانا فدخل الغار فجعل يصلى معه فقال له العابد من أنت قال أتعبد معك ثم قال هل أدلك على أفضل مما نحن فيه قال وما هو قال اخرج بنا إلى قرية نأمر بالمعروف فأطاعه فأقبل رجل إليهما عند باب القـــرية فجعل الشيطان حين رآه يضرط فأخذه الرجل فذبحه فقال له العابد ما صنعت قتلت خير الناس قال إنما هو شيطان وأنا رحمة رحمك بها ربك ذكره أبو نعيم .

وفى سنن أبى داود والنسائى والحاكم كان النبى ﷺ جالسا ورجل يأكل فلم يسم الله حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله وآخره فضحك رسول الله ﷺ ثم قال « مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه » .

وفى مسند الامام أحمد وسنن أبى داود وصحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ على طعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده وانا حضرنا معه طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت تضع يدها فى الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها وجاء أعرابى كأنما يدفع فذهب يضع يده فى الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيده قال فقال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر الله عليه وانه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها وجاء بهذا الاعرابى ليستحل به فأخذت بيده والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يديهما يعنى الشيطان » رواه مسلم .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا دخل أحدكم بيته

فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء .

وقال ابن مسعود لقى شيطان المؤمن شيطان الكافر فإذا شيطان المؤمن مهزول وإذا شيطان الكافر سمين فقال مالك قال مالى منه شيء إذا دخل بيته ذكر الله وإذا طعم ذكر الله و إذا شرب ذكر الله قال الآخر لكنى آكل معه وأشرب معه .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال النبى ﷺ « قال ابليس يارب كل خلقك بينت رزقه ففيم رزقى قال فيما لم يذكر اسم الله عليه » رواه الضياء فى المختارة وقد نصرنا فى الكتاب الباهر أن الجن يأكلون حقيقة لأن النبى ﷺ قال ان العظام من زادهم وان البعر أزواد دوابهم فلولا أكلهم لم يحتاجوا إلى الزاد ولم يسألوه إياه .

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « أتانى الجن فقرأت عليهم القـــرآن قال فانطلق أى النبى فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم وقال النبى ﷺ لا تستجمروا بهما فإنهما طعام إخوانكم » ، وقال آخرون ان عامة الجن يعيشون بالروائح وقال الغزالى فى كتاب الاحياء أكثر الجن يعيشون بالرائحة وقال ابن عقيل يجوز أن يكون زادهم أو يلحسون زهائمها ويبقى أجسامها .

وسأل عمر رضى الله عنه رجلا استأسرته الجن ما طعامهم قال الفول ومالم يذكر اسم الله عليه فما شرابهم قال الجدف بالتحريك نبات يكون باليمن لا يحتاج معه إلى شرب ماء وقيل تأكله الابل فـــلا يحتاج معه إلى شرب ماء وقيل ما لا يغطى من الشراب وغيره وقيل زبد الشراب ورغوة اللبن قال الأعمش

تزوج الينا جنى فقلت له ما أحب الطعام اليكم فقال الأرز فأتاهم فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً فقلت فيكم من هذه الأهواء التى فينا قال نعم قلت فما الرافضة فيكم قال شرنا قال الشيخ كمال الدين المزى الحافظ هذا صحيح عن الأعمش .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان أتى العراق فباض فيهم وأفرخ ثم أتى مصر فبسط عبقريه وجلس ثم أتى الشام فطردوه حتى بلغ بيسان » رواه بن عساكره وعن يحيى بن أيوب وابن لهيعة عن عقيل عن الزهرى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إن ابليس دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه » حديث حسن ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات بلا حجة ، وسئل الحسن أينام ابليس قال فتبسم الحسن فقال لو نام لوجدنا راحة ذكره ابن أبى الدنيا .

(الفصل السابع)

(فى عقبات الشيطان السبع وقصة برصيصا العابد وحديث من خلق)

اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين فى سبع عقبات عقبة الكفر فان سلم منه ففى عقبة البدعة ثم فى عقبة فعل الكبائر ثم فى عقبة فعل الصغائر فان سلم منه ففى عقبة فعل المباحات فيشغله بها عن الطاعات فان غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة فان سلم من ذلك وقف له فى العقبة السابعة ولا يسلم منها المؤمن إذ لو سلم منها أحد لسلم منها رسول الله ﷺ وهى تسليط الأعداء الفجرة بأنواع الأذى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قيل يا رسول الله يجد أحدنا فى نفسه الشىء لأن يكون كتمه أحب اليه من أن يتكلم به فقال « الله أكبر الحمد لله رد كيده إلى الوسوسة ، رواه أبو داود وله أيضا عن أبى زميل قال قلت لابن عباس ما شىء أجده فى صدرى فقال ما هو قلت لا والله لا أتكلم به فقال الشىء من شك وضحك فقال ما نجى منها أحد حتى أنزل الله «فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب

من قبلك » فاذا وجدت شيأ من ذلك فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وفى لفظ إن أحدنا يجد فى نفسه لأن يخر من السماء إلى الأرض أو يحترق حتى يصير حممه أحب إليه من أن يتكلم به قال ذلك صريح الإيمان قال طائفة من العلماء كأبى عبيد وأبى حاتم والخطابى وغيرهم يعنى كراهية ذلك واستعظامه قالوا فالمؤمن إذا ذكر الله وعبده وتفكر فى عظمته فلابد أن تقع هذه الوساوس على قلبه ضرورة كما قال « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا » الآية فضرب مثل ما ينزله على القلوب من الإيمان والقرآن بالماء الذى ينزله فتحمله الأودية وهى أمثلة القلوب صغار وكبار وضرب له مثلا بما يوقد عليه فى النار من الحلية والحديد لابد فيهما من زبد فى طبع الأرض والمعدن من الزبد الذى يظهر عند وجود الماء والنار وكذلك ما يظهر فى القلوب من الوساوس الباطلة التى تظهر عند نزول الايمان بالقرآن الذى هو سبب حياة القلوب وعند حرارة الحركة والطلب والارادة وهذا أمر محسوس بالقلوب يجده المؤمن عند تصحيح إيمانه واعتقاده وعند تصحيح عبادته وإرادته والشيطان لعنة الله إنما يجتهد على الإنسان حتى يؤل أمره إلى العقبة الأولى عقبة الكفر قال تعالى « كمثل الشيطان إذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال انى برىء منك أنى أخاف الله » قال ابن عباس رضى الله عنه كان زاهد فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وإن إبليس أعياه فى أمر الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا فقال الأبيض لإبليس أنا أكفيك فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته إلا فى كل عشرة أيام ولا يفطر إلا فى عشرة أيام مرة فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على صلاته وعلى العبادة فى أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى

الأبيض قائماً يصلى فى هيئة حسنة من الرهبان فلما رأى ذلك من حالة ،قال له انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتى انى أحببت أن أكون معك وأتأدب بك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك قال برصيصاً أنا فى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيباً ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما بعدها فلما انفتل رآه قائما يصلى فلما رأى شدة اجتهاده قال له ما حاجتك قال حاجتى ان تأذن لى فارتفع إليك قال فأذن له فارتفع إليه فى صومعته وأقام معه حولا يتعبد لا يفطر إلا فى كل أربعين يوما ولا ينفتل عن صلاته إلا فى كل أربعين يوما مرة وربما يزيد إلى الثمانين فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض فلما حال الحول قال الأبيض للبرصيصا إنى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى وكأنه بلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من شدة إجتهاده فلما ودعه قال له الأبيض ان عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير لك مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا إنى أكره هذه المنزلة لأن لى فى نفسى شغلا وإنى أخاف ان علم الناس به شغلونى عن العبادة فلم يزل به الأبيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال والله أهلكت الرجل قال فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لأهله أن بصاحبكم جنونا أفأعالجه فقالوا نعم فقال انى لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيشفيه انطلقوا إلى برصيصا فان عنده الاسم الذى إذا دعى الله به أجاب فانطقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان وكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى إسرائيل بين ثلاثة

أخوة وكان أبوهم ملكهم فمات فاستخلف أخاه فكان عمها ملك بنى إسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء إليهم فى صورة متطبب فقال لهم أعالجها قالوا نعم قال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به وتدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت تردونها صحيحة فقالوا ومن هذا قال برصيصا قالوا فكيف لنا ان يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال ابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فإن قبلها والا فضعوها عنده فى صومعته ثم قولوا له هى أمانة عندك فاحتسب فيها قال فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية فى صومعته وقالوا هذه أختنا ثم انصرفوا فلما التفت برصيصا من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فاسقط فى يده ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته ثم جاء الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فجاءه الشيطان وقال واقعها فتتوب بعد فتدرك ما تريد من الأمر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها فتتوب فاذا سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقو عليه فدخل برصيصا فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها فبقى طرف ازارها خارجا من التراب ثم رجع برصيصا إلى صومعته فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يسألونه عنها فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال جاء شيطانها فذهب بها فلم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان أكبرهم فى منامة فقال ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ودفنها فى موضع كذا وكذا فقال الأخ هذا حلم وهو من الشيطان برصيصا خير من ذلك قال فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال مثل ما قال الأول فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك

فقال أصغرهم لأخوته والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط قد رأيت مثله فقال الأكبر وأنا رأيت مثله فانطلقوا إلى برصيصا فقالوا ما فعلت بأختنا فقال أليس قد علمتم فاستحيوا منه وقالوا والله لا نتهمك فانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم إنها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وإن طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأو أختهم على ما رأوا فى النـــوم فمشوا إلى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تنكر اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب، أتاه الأبيض فقال أتعرفنى قال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك أما أستحييت فى أمانة خنت أهلها وانك زعمت أنك أعبد بنى إسرائيل أما استحييت فلم يزل يغويه ثم قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تعطينى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال أفعل فسجد له ثم قال يا برصيصا هـذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين والشيطان كثيراً ما يدخل على الناس من قلة العلم .

(قال ثابت) حججت فأتيت إلى خلقة فيها رجلان أخوان أدركا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم أحدهما محمد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يتذاكران أمر الوسواس فقال ما تذاكران قالا يا رسول الله نتذاكر الوسواس لأن يقع أحدنا من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم بما يوسوس إليه قال وقد أصابكم ذلك قالوا نعم يا رسول الله قال فان ذلك محض الإيمان قال ثابت فقلت أنا يا ليت أن الله أراحنا من ذلك المحض فانتهرانى وقالا نحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول يا ليت أن الله أراحنا ذكره عبد الله البغوى فى معجمه .

(فصل) قال الشيخ عبد القادر الكيلانى رحمه الله اشتد على الحر فى بعض الأسفار يوما حتى كدت أن أموت عطشا فظللتنى سحابة سوداء وهب على منها هـــواء بارد حتي دار ريقى فى فمى وإذا بصوت يناديني منها يا عبد القادر أنا ربك فقلت له أنت الله الذى لا إله إلا هو فعدل الشيخ عن الإسم المشترك كما يقال رب الدار ورب المـال إلى الإسم المختص بالواحد الأحد سبحانه قال فنادانى ثانيا فقال يا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك ما حرمت عليك قال فقلت له كذبت بل أنت الشيطان قال فتمزقت تلك السحابة وسمعت من ورائى قائلا يا عبد القادر نجوت منى بفقهك فى دينك لقد فتنت بهذه الحيلة قبلك سبعين رجـــلا وقيل للشيخ عبد القادر كيف عرفت إنه الشيطان قال من حين قال قد أحللت لك عرفته لأن بعد رسول الله ﷺ لا تحليل ولا تحريم فنفعه الله بالعلم النافع قال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية ما عظمت عبد القادر إلا بكلامه فى القدر وحكايته مع الشيطان وقال ابن العربى فى كتابه مواقع النجوم ذكر لنـا أن فى بعض المنازل من يخاطب الولى بهذا ويقال له افعل ما حرمت عليك وهذا إنما يسمعه من الحق سبحانه لـكنه سماع ابتلاء .

(قلنا) حاشا لله من هذا وإنما هو خطاب من الشيطان ليفتنه ويغره إنه قـد وصل وإن الحق خاطبه والشيطان كثيرا ما يدخل على الناس من قلة العلم .

وفي حديث الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » قال أبو هريرة لـكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الفقه فى الدين ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد رواه ابن عدى عنه مرفوعاً .

وعن ابن عباس أنه قال أن الشياطين قالوا لإبليس يا سيدنا إنا نفرح

يموت العالم مالا نفرح بموت العابد والعالم لا نصيب منه والعابد نصيب منه قال انطلقوا فانطلقوا إلى عابد وأتوه فى عبادته فقالوا نريد أن نسألك فقال ابليس هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة قال لا أدرى قال أترونه كفر فى جوابه ثم جاء إلى رجل عالم فى حلقة يضاحك أصحابه فقالوا إنا نريد أن نسألك فقال سل فقال هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة قال نعم قال كيف يقول قال يقول كن فيكون قال أترون ذلك لا يعدو نفسه وهذا يفسد على عالما كثيرا .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ ولينتبه » .

وفى رواية « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك حدثنا الضحاك يعنى ابن عثمان عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النبى ﷺ قال « إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول من خلقك فيقول الله فيقول فمن خلق الله فاذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى إن أمتك لا يزالون يتساءلون ويقولون ما كذا وما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله » رواه مسلم .

وللبخارى عنه « لن يبرح الناس يتساءلون هذا الله خلق كل شىء فمن خلق الله » .

وللامام أحمد فى المسند حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن

أنس قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى ان أمتك لا يزالون يتساءلون فيما بينهم حتى يقول قائلهم هذا الله تعالى خلق الناس فمن خلق الله »

وقال ابن اسحق فى السيرة حدثنا عقبة بن مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوشك الناس أن يتساءلون فيما بينهم حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد إلى آخرها ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

وقال ابن اسحق أيضا حدثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من يهود رسول الله ﷺ فقالوا يامحمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه فغضب رسول الله ﷺ حتى انتقع لونه فأتاه جبريل فسكنه فقال خفض عليك يامحمد وأتاه من ربه بجواب ماسألوه عنه « قل هو الله أحد الله الصمد » السورة كلها فلما تلاها عليهم قالوا يامحمد كيف خلقه كيف ذراعه كيف عضده فغضب رسول الله ﷺ فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل ما قال أول مرة وجاء من ربه بجواب ماسألوه بقول الله تعالى « وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة إلى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون » فالتسلسل فى الفاعل والفاعلية قد أمر النبى ﷺ بالاستعاذة منه وليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأمر بالإيمان بأن يقول آمنت بالله ورسله وأمر أن يقرأ قل هو الله أحد وأن يقول هو الأول والآخر وقد أبطل النبى ﷺ هذا التسلسل لما أورد عليه حيث قال لا عدوى ولا طيرة فقيل يارسول الله ما بال الأبل تكون كالظباء فيخالطها الجمل الأجرب فتجرب فيقول رسول الله ﷺ فمن أعدى الأول يعنى لو كان كل أجرب يستدعى الجرب لزم تسلسل الجرب لكنه باطل بالعيان إذ البعير الأول لم يستدع أجرب يعديه وانظر إلى قوله ﷺ فمن

أعدى الأول مع قوله تعالى « أفعينا بالخلق الأول » كيف كل منهما ثلاث كلمات تتضمن دليلا عظيما بهت فى تقديره المتكلمون والفلاسفة وذلك دليل على تشابه الكلام فالنبى ﷺ علم أن وسواس التسلسل فى الفاعل يقع للنفوس وأنه معلوم الفساد بالضروره فأمر ﷺ بالاستعاذة بالله منه والانتهاء منه.

(وقد قيل) للإمام فخر الدين الرازى لم لم يأمر النبى ﷺ عند هذا الوسواس بالبرهان المبين لفساد التسلسل والدور بل أمر بالاستعاذة .

(فأجاب) بأن مثل هذا مثل من عرض له كلب ينبح عليه ليؤذيه ويقطع عليه طريقة فتارة يضربه بعصاه وتارة يأمر من صاحب الكلب أن يزجره قال فالبرهان هو الطريق الأول وفيه صعوبة والاستعاذة بالله هو الثانى وهذا سهل قال بعضهم هذا يقتضى أن طريقة البرهان أقوى وأكمل وليس الأمر كذلك بل طريقة الإستعاذة أقوى وأكمل فان دفع الله الوسواس من القلب أكمل من دفع الإنسان ذلك عن نفسه .

(قلنا) هذا الكلام مبناه على أن الأسئلة الواردة على النفس تندفع بطريقين أحدهما البرهان والآخر الاستعاذة والنبى ﷺ أمر بها وان طريقة البرهان تقطع الأسئلة الواردة على النفس بدون ما ذكره النبى ﷺ وأن النبى ﷺ لم يأمر بالبرهان وهذا خطأ بل النبى ﷺ أمر بالبرهان فى محله وهذا الذى وصل إلى هذا المقام من الوسواس لا ينتفع بالبرهان لأن البرهان لابد أن ينتهى إلى مقدمات ضرورية بديهية أولية يبتديها الله فى قلبه ثم إن تلك العلوم الضرورية قد يعرض فيها شبهات ووسواس كالشبهات السوفسطانية والشبهات القادحة فى تلك العلوم لا يمكن الجواب عنها بالبرهان فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث ولهذا من أنكر العلوم الضرورية والحسية لم يناظر بل ان كان جاحدا معاندا عوقب حتى يعترف بالحق وإن

كان غالطاً إما لفساد عرض لحسه أو عقله فانه يعالج فان عجز عن ذلك لفساد فى طبيعته عولج بالأدوية الطبيعية أو بالرقى والدعاء والتوجه وفى الجملة الوسوسة والشبهة القادحة فى العلوم الضرورية لا تزول بالبرهان وإنما تزول بالاستعاذة بالله فان الله تعالى هو الذى يعيذ العبد ويجيره من الشبهات المضلة والشهوات المغوية ولهذا أمر العبد أن يقول فى كل صلاة اهدنا الصراط المستقيم ، وفى الحديث الإلهى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم وقد شرعت الاستعاذة عند قراءة القرآن وعند الغضب ليصرف عنه شر الشيطان عند وجود سبب الخير وهو القراءة وعند وجود سبب الشر لمنع الشر الذى يحدثه عند ذلك .

وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ « ما من قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أن يقيمه وان شاء أن يزيغه أزاغه » وكانت يمين رسول الله ﷺ ومقلب القلوب وكان كثيراً ما يقول لا ومقلب القلوب وفى الحديث القلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا والواردات على القلب كثيرة فيها المحمود وفيها المذموم والله سبحانه هو القادر على صرف ذلك فالاستعاذة بالله طريق مفضية إلى المقصود الذى لا يحصل بالنظر والاستدلال وأيضاً النبى ﷺ لم يأمر بالاستعاذة وحدها بل أمر العبد أن ينتهى عن ذلك مع الاستعاذة إعلاما بأن هذا السؤال هو نهاية الوسواس ليس هو من البدايات الذى يزيله ما بعده فان النفس تطلب سبب كل حادث وأول كل شيء حتى تنتهى إلى الغاية والمنتهى وقد قال تعالى « وأن إلى ربك المنتهى »

وفى الدعاء المأثور الذى ذكره مالك فى الموطأ «حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى » فاذا وصل العبد إلى غاية الغايات ونهاية النهايات وجب وقوفه فاذا طلب بعد ذلك شيئا آخر وجب أن ينتهى فأمر ﷺ العبد أن ينتهى مع استجارته بالله من وسواس التسلسل وأيضاً النبى

ﷺ أمر العبد أن يقول آمنت بالله وأن يستعيذ وأن يقول قل هو الله أحد وأن يقول هو الأول والآخر كما سبق وهذا من باب دفع الضد النافع فإن هذا يدفع عن قلبه الوسواس الفاسد ولهذا كان الشيطان يخنس عند ذكر الله ويوسوس عند الغفلة عن ذكر الله تعالى قال تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » وشبه هذا الوسواس الذى يعرض لكثير من الناس فى العبادات حتى يشككه هل كبر أو لم يكبر وهل نوى العبادة أو لم ينوها فيشككه فى علومه الحسية الضرورية فان ذلك مما يعلمه بقلبه ويسمعه بأذنه وقصد الصلاة مثل قصد الأكل والشرب وعلم ذلك كله علم ضرورى أولى لا يتوقف على البرهان بل هو مقدمات البرهان وهذا الوسواس يزول بالاستعاذة وانتهاء العبد وأن يقول إذا قال لم تغسل وجهك بل غسلت وجهى وإذا خطر له أنه لم ينو بقلبه بل قد نويت فيثبت على الحق ويدفع ما يعارضه من الوسواس فيرى الشيطان وقوفه وثباته على الحق فيندفع عنه وإلا فمتى رآه قابلا للشكوك مستمعا إلى الوسواس والخطرات أورد عليه من ذلك ما يعجز عن دفعه وصار قلبه موردا لما يوحيه شياطين الإنس والجن من زخرف القول وانتقل من ذلك إلى غيره إلى أن يسوقه الشيطان إلى الهلكة فالله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون .

(فصل) يشرع أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فى مواضع .

(منها) عند القرآن كما سبق (ومنها) عند وسواس التسلسل كما سبق .

(ومنها) عند الغضب .

عن سليمان بن صرد قال رأيت رجلين اختصما عند النبى ﷺ فغضب

أحدهما حتى أحمر وجهه فقال رسول الله ﷺ إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال وهل بى من جنون متفق عليه فالغضب سبب الشر فشرعت الاستعاذة عنده .

(ومنها) عند الخلاء اجماعا . عن أنس رضى الله عنه قال كان النبى ﷺ إذا دخل الخـــلاء قال « اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث » متفق عليه .

وقال ابن أبى شيبة حدثنا هشيم عن أبى معشر عن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس قال كان النبى ﷺ إذا دخل الخلاء قال « باسم الله اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث » أبو معشر اسمه نجيح ضعيف .

قال الامام أحمـــد فى رواية أبى طالب يقول أعوذ بالله من الخبث والخبائث وما دخلت قط ولم أقله إلا أصابنى ما أكره فيه الخبث بضم الخاء والباء جمع خبيث كرغيف ورغيف وهو الذكر من الشياطين والخبائث جمع خبيثة وهى الأنثى منهم استعـاذة من ذكران الشياطين وإناثهم وأكثر الروايات الخبث باسكان الباء . قال الخطابى هو قول المحدثين وهو غلط كذا قال ويحتمل تصويبه وأن يكون كالأول مخففا منه كقولهم فى كتب ورسل كتب ورسل فقال أبو عبيدة الخبث بسكون الباء الشر والخبائث الشياطين لأن فعيلا صفة يجمع على فعلا مثل ظريف وظرفا وكريم وكرما وإنما تجمع على فعيل إذا كان اسما مثل رغيف ورغف ونذير ونذر لأنه أكثر معنى وقيل الخبث الشياطين والخبائث المعاصى .

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول اللهم أنى أعوذ بك مـــن الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » رواه ابن ماجه باسناد ضعيف (فان قيل) كان عليه السلام

معصوما من الشياطين ومردة الجن ومن كل طارق شر فما معنى استعاذته (قلنا) فيه فائدتان أحدهما ترجع إليه وهى لزوم الخضوع لربه واللجأ إليه وأنه سبحانه هو الذى عصمه ، وثانيهما التشريع لأمته .

(الفصل الثامن فى بكاء الشيطان)

قال ثابت البنانى بلغنى أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار » رواه مسلم وقد احتج به من أوجب سجود التلاوة فذكر عنه الأمر بالسجود ولم يعقبه بانكار فدل على أنه صحيح والأمر للوجوب وهذا قول سفيان الثورى وأبى حنيفة وأصحابه ، وأجيب عن هذا الاستدلال بأن تسمية هـذا أمرا من كلام إبليس ولا حجة فيه (فان قالوا) حكاه النبى ﷺ ولم ينكره (قلنا) قد حكى عن غيره من أقوال الكفار ولم يبطله حال الحكاية ثم المراد به أمر ندب لا إيجاب فان السنة قد دلت على عدم الإيجاب وهو قول أكثر العلماء .

وجاء عن أربعة من الصحابة عمر وسلمان وابن عباس وعمران بن حصين وقد احتج الامام أحمد على هذا بحديث زيد ابن ثابت قرأت على النبى ﷺ والنجم فلم يسجد فيها متفق عليه والدارقطنى فلم يسجد منا أحد ولما لم يذكر زيد سبب ترك السجود علم أن تركه لأجل أنه مخير .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال أيها الناس من سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه ولم يسجد عمر رواه البخارى وله فى رواية قال عمر رضى الله عنه إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء وهذا الفعل من عمر والقول بمحضر من الصحابة ولم ينكره أحد فكان دليلا ظاهراً على إجماعهم واعتذرت الحنفية عن قول عمر رضى الله عنه بأنه نفى الفريضة لا الوجوب وهم قد فرقوا بين الفرض والواجب (قلنا) لو كان سجود التلاوة واجبا لما تركه لا سيما فى المقام الذى يتأسى به الناس .

وأحمد رواية ثالثة أن سجود التلاوة يجب فى الصلاة خاصة قال ـ فى رواية ثالثة ـ إن سجود التلاوة يجب فى الصلاة خاصة وقال فى رواية صالح لا يجب سجود التلاوة واحتج بحديث زيد فى النجم وبحديث عمر على المنبر ثم قال أحمد إلا أنه أن قرأ بها فى الصلاة فيجب أن لا يدع السجود وهو فى الصلاة فإنه أوكد منه فى غير الصلاة وقال فى رواية الأثرم وحنبل أن كان فى الصلاة فأحب أن يسجد لأنه أوكد فجعل من جعل من الأصحاب هذا رواية ثالثة ويحتمل أن يكون ذلك تأكيداً للاستحباب فى الصلاة لأنه لو وجب فى الصلاة لبطلت الصلاة بتركه لأنه بالتلاوة صار من أفعالها ولا تبطل بتركه إجماعا ذكره الشيخ مجد الدين .

(الفصل التاسع فى رنة الشيطان وندائه ليلة البيعة)

يندب المشركين واجتماع الشيطان بهم فى دار الندوة فى أمر النبى ﷺ ونداء الشيطان وصياحه بقتل النبى ﷺ يوم أحد .

ذكر بقى بن مخلد فى تفسيره أن ابليس رن أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب

قال سعيد بن جبير لما لعن الله ابليس حول صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة منها فى الدنيا إلى يوم القيامة رواه ابن أبى حاتم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما افتتح رسول الله ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده فقال ايئسوا أن ترتد أمة محمد ﷺ على الشرك بعد يومكم هذا ولكن افتنوهم فى دينهم وافشوا فيهم النوح رواه الطبرانى والحافظ الضياء فى كتاب المختارة الرنين الصوت وقد رن يرن رنينا ولم يتكم على ذلك الحافظ أبو موسى ولا ابن الأثير فى كتاب النهاية وهو مما يلزمهما وقال سعيد ابن جبير لما رأى ابليس النبى ﷺ قائما يصلى رن ولما افتتح مكة رن رنة أخرى اجتمعت إليه ذريته فقال ايئسوا أن ترتد أمة محمد ﷺ إلى الشرك بعد يومكم هذا ولكن افتنـــوهم عن دينهم وأفشوا فيهم النوح والشعر رواه ابن أبى الدنيا وقال ابن أبى حاتم فى تفسيره فى قوله تعالى « وأشرقت الأرض بنور ربها » حدثنى أبو عبد الله الطبرانى أخبرنا حفص بن عمر حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال لما ولد رسول الله ﷺ أشرقت الأرض نوراً وقال ابليس لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده فلو ذهبت إليه فخبلته فلما دنا من النبى ﷺ بعث الله جبريل عليه السلام فركضه ركضة فوقع بعدن .

(فصل) وأما صراخ الشيطان فى بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ ليلة العقبة ففى المغازى والسير لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس يامعشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال أنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله أن فعلتموه خزى الدنيا والآخرة وأن كنتم ترون أنكم وافون بما وعدتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فمالنا بذلك يارسول الله

ان نحن وفينا قال الجنة قالوا أبسط يدك فبسط يده فبايعوه فأما عاصم بن عمر ابن قتادة فقال والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ فى أعناقهم وأما عبد الله بن أبى بكر فقال ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم فالله أعلم أى ذلك كان ولما أراد الله عز وجل إظهار دينه واعزاز نبيه وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال لهم من أنتم فقالوا نفر من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض تعلموا والله أنه النبى الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه فصدقوا وقبلوا ما عرضه عليهم من الإسلام وقالوا قد تركنا قومنا بينهم من الشر والعداوة ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك فسندعوهم إلى أمرك فان الله يجمعهم بك فسندعوهم إلى أمرك فان الله يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهى العقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء أى لم يبايعوه على القتال فكان يأخذ عليهن العهد فإذا أقررن بألسنتهم قال بايعتكن وما مست يده يد امرأة فى مبايعة قالته عائشة وقال الشعبى كن يأخذن بيده فى البيعة من فوق ثوبه وقيل كان رسول الله ﷺ يغمس يده فى إناء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة فيكون ذلك عقداً للبيعة وهذا رواية عن ابن اسحق وقطع به النقاش وفيه نظر وقال عبادة بن الصامت

كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان أصبتم من ذلك شيأ فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه فى الدنيا إلى يوم القيامه فأمركم إلى الله ان شاء عذب وإن شاء عفا فلما انصرف القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقربهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين فكان يسمى المقرىء بالمدينة مصعب ففتح المدينة بالقرآن وأسلم معه خلق كثير ثم ان مصعبا رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق حتى إذا أراد الله بهم ما أراد من كرامته ونصر نبيه وإعزاز دينه قال كعب فلما كانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله ابن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا قلنا له إنا نرغب بك أن تكون حطباً للنار غداً ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلسل تسلسل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا أمرأتان فأتانا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق به فلما جلس قال العباس يامعشر الخزرج ان محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا فهو فى عز ومنعة فى بلده وإنه قد أبى إلا الاحتياز اليكم واللحاق بكم فان كنتم وافون له بما وعدتموه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وماتحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال فتكلم

رسول الله ﷺ فتلا القرآن ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال نعم فوالذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحروب والحلقة ورثناها كابراً عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وأنا قاطعوها يعنى اليهود فإن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم قال كعب بن مالك كان أول من ضرب على يد النبى ﷺ البراء بن معرور ثم بايع القوم فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط يا أهل الجباجب والجباجب المنازل هل لكم فى مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله ﷺ هذا ازب العقبة أى عدو الله أما والله لأفرغن لك قال ثم قال رسول الله ﷺ امضوا إلى رواحلكم عن الحسن قال لما بويع رسول الله ﷺ بمنى صرخ الشيطان فقال رسول الله ﷺ هذا أبو ليلى قد إنذر بكم فتفرقوا فقال عباس بن عبادة والذى بعثك بالحق بشيراً ونذيراً إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا فقال رسول الله ﷺ لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم فرجعنا إلى رحالنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا جاء تناقريش فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم أتيتم صاحبنا تخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وأنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا من إن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فحلف مشركو قومنا بالله أنه ما كان من هذا الشىء قال وصدقوا لم يعلموا وبعضنا ينظر إلى بعض قال ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام وعليه نعلان جديدان فقلت له كلمة فخلعها من رجليه ثم رمى بهما إلى وقال والله لتنتعلنهما قال فقيل لى أردد إليه نعليه فقلت والله لا أردهما قال والله لا أردهما قال والله لئن صدق الفال لا سلبنه .

(فصل) فى مجىء الشيطان فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوه ولما اجتمع قريش للتشاور فى أمر رسول الله ﷺ قال أهل العلم بالاخبار هاجر أصحاب النبى ﷺ مثل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأخيه زيد بن الخطاب وابنه عبد الله وأخيه زيد بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة وغيرهم وأقام رسول الله ﷺ بعد أصحابه ينتظر الاذن فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو ولما رأت قريش أن لرسول الله ﷺ شيعة وأصحابا من غير بلدهم ورأوا خروج المهاجرين اليهم حذروا خروج رسول الله ﷺ وعلموا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون برسول الله ﷺ حين خافوه قال ابن عباس لما خرجوا فى اليوم الذى اتعدوا له كان ذلك اليوم يسمى الزحمة فاعترض إبليس فى هيئة شيخ جليل عليه بت أى كساء غليظ فوقف على باب الدار فلما رأوه قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فجاء ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا فادخل وقد اجتمع أشراف قريش فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وانا والله ما نأمنه عن الوثوب علينا فاجمعوا فيه رأيا فقال قائل احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء من الموت فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره إلى أصحابه فيثبوا عليكم فينتزعوه منكم ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره فتشاورا فقال قائل نخرجه من بين أظهرنا ثم إذا خرج فوالله لا نبالى أين ذهب فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم

برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله ما هـــذ رأى فقال أبو جهل والله ان لى رأيا قالوا وما هو يا أبا الحـكم قال أرى أن نأخـذ من كل قبيلة شابا ثم نعطى كل فتى سيفا ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فتستريحوا منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حـــرب قومهم جميعا فرضوا بالعقـل فعقلنا لهم فقال الشيخ النجدى هذا هو الرأى الذى لا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك فأتى جبريل النبى ﷺ فقال لا تبت الليلة على فراشك فلما كان عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرقبونه حتى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب نم على فراشى وتسج بردائى الأخضر فانه لن يخلص إليك شىء تـكرهه منهم فلما اجتمعوا على بابه قال أبو جهل ان محمدا يزعم انـكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتـكم وجعلت لـكم كجنات الأردن وان لم تفعلوا كان فيـكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتـكم ثم جعلت لـكم نار تحرقون فيها قال وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب ثم قال نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم فأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه وجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو عليهم يس والقرآن الحـكيم إلى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ولم يبق منهم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف فاتاهم آت فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله خرج عليـكم محمد ثم ترك منـكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته قال فوضع كل واحد منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش مسجى ببرد رسول الله ﷺ فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم فى برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا وانزل الله سبحانه فى ذلك « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون

ويمكر الله والله خير الماكرين » وقوله تعالى « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون إلى قوله من المتربصين » واختلف الناس لأى شيء قال الشيطان إنى من أهل نجد فقيل لأنهم قالوا لا يدخل معهم فى المشاوره أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نجدى وقيل لأن نجداً منها يطلع قرن الشيطان كما قال رسول الله ﷺ لما قيل له وفى نجدنا يا رسول الله قال « هنالك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان » فلم يبرك عليها كما برك على اليمن والشام وقد قيل ان الشيطان تمثل فى صورة شيخ نجدى أيضا حين حكموا رسول الله ﷺ فى أمر الركن من يرفعه فصاح الشيخ النجدى أرضيتم أن يليه هذا الغلام دون اشرافكم والحكمة فيه ما ذكرنا.

(فصل فى صياح الشيطان أن النبى ﷺ قتل يوم أحد)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نصر الله عز وجل نبيه ﷺ كما نصره يوم أحد فأنكر ذلك فقال ابن عباس بيننا وبين من أنكر ذلك كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يقول فى أحد ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه قال ابن عباس والحس القتل حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين والمعنى بهذه الرماة وذلك أن النبى ﷺ أقامهم فى موضع ثم قال احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا فلما غنم النبى ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعا فى العسكر ينهبون وقد التقت الصفوف فلما أخل الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ أول النهار حتى قتل من المشركين سبعة أو تسعة ولواجا جولة نحو الجبل ولم يبلغوا وإنما كانوا تحت المهراس وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشك فى أنه قد قتل فمازلنا كذلك حتى طلع

رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بكتفيه إذا مشى قال ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فاومأ نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبيهم » رسول الله ﷺ ويقول مرة أخرى « اللهم انه ليس لهم أن يعلوا » فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح فى أعلى الجبل اعل هبل مرتين يعنى إلهه أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر يا رسول الله ألا أجيبة قال بلى قال فلما قال اعل هبل قال عمر الله أعلى وأجل ثم قال أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فقال هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وهذا عمر قال فقال سفيان يوم بيوم بدر والأيام دول وان الحرب سجال قال فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال أبو سفيان انكم ستجدون فى قتلاكم مثله ولم يكن ذلك على رأيى ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أما انه إن كان ذلك لم نكرهه رواه الامام أحمد فى المسند .

(الفصل العاشر فى أحقر أوقات الشيطان ودعائه على نفسه بالويل والثبور)

عن العباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه قال دعا رسول الله ﷺ لامته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأجابه « انى قد فعلت إلا ظالم بعضهم بعضا فأما ما بينى وبينهم فقد غفرته فقال يارب انك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيرا من مظلمته وتغفر لهذا الظالم » فلم يجب تلك العشية بشىء فلما كانت غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه « انى قد غفرت » قال تبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه يارسول الله انك تبسمت فى ساعة لم تكن تبسم فيها فقال تبسمت من عدو الله ابليس انه لما علم أن الله سبحانه قال استجاب لى أخذ يدعو بالويل والثبور ويحثى التراب على رأسه » رواه عبد الله بن أحمد فى المسند وأبو داود وابن ماجة والطبرانى والحافظ الضياء فى المختارة .

(وفى الموطأ) عن إبراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال رسول الله ﷺ «مارؤى الشيطان يوما هوفيه أصغر ولاأحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وماذاك إلا لما رأى من نزول رحمة الله وتجاوزه عن الذنوب العظام إلا ما رؤى يوم بدر قيل وما رأى يوم بدر يارسول الله قال أما أنه رأى جبريل يزع الملائكة » .

(وروى) أبو عثمان الصابونى عن رجل كان أميراً ببلاد الروم فهرب من بعض الحصون قال فكنت أسير بالليل وأكمن بالنهار فبينما أنا ذات ليلة أمشى بين جبال وأشجار إذا أنا بحس فراعنى ذلك فنظرت فاذا راكب بعير فازددت رعبا وذلك أنه لا يكون ببلاد الروم بعير فقلت سبحان الله فى بلاد الروم راكب بعيران هذا لعجب فلما انتهى إلى قلت يا عبد الله من أنت قال لا تسأل قلت إنى أرى عجبا فاخبرنى قال لا تسأل فأبيت عليه قال أنا إبليس وهذا وجهى من عرفات وافقتهم عشية اليوم اطلع عليهم فنزلت عليهم المغفرة ووهب بعضهم لبعض فدخلنى الهم والحزن والكآبة وهذا جهتى إلى القسطنطينية أتفرح بما أسمع من الشرك بالله والدعاء أن له ولدا فقلت أعوذ بالله منك قال فلما قلت هذه الكلمات لم أر شيئاً،وقال على بن الجارود خرجت أنا وصاحبى فى طلب الحديث فررنا على قرية لوط فبينما نحن نمشى فى تلك السكك فى يوم عرفة إذا برجل كوسج فقال من أنتم فأخبرناه فانصرف فقلنا له من أنت فتغافل عنا فقلنا له من أنت فتغافل فقلنا أنت الشيطان ابليس قال نعم قلنا وما جاء بك إلى هنا قال إنى كنت بالموقف فنزلت الرحمة فغفر الله لرجل يعمل المعاصى خمسين سنة فشق على فخرجت إلى بلاد قوم لوط أخفف عن نفسى ما أجد .

(وقال الفضيل بن عياض) ما من شىء أبغض على ابليس من أن يرى ابن آدم نائماً يقول متى يقوم حتى يعصى الله ذكره ابن أبى الدنيا . قال تعالى

فى قصة بدر « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون » وذلك أن قريشا لما عزمت على المسير ذكرت ما بينها وبين بكر بن وائل من العداوة فكاد ذلك يثبطهم فجاء ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لأنه من بنى مالك فقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان أى التقت الفئتان والجمعان ورأى ابليس الملائكة علم أنه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه أى ولى مدبرا ورجع القهقرى على قفاه هاربا وكان فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك تحرض على القتال آخذا بيد الحرث بن هشام ينكص على عقبيه فقال له الحرث بن هشام أفراراً من غير قتال وجعل يمسكه فيدفعه فى صدره وانهزم فانهزم الناس فلما بلغ ذلك سراقة بن مالك قال والله ماشعرت بمسيركم حتى علمت بهزيمتكم فلما أسلموا علموا أن ذلك من الشيطان وقال « إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون » فانه رأى جبريل عليه السلام معتجراً ببرد يمشى بين يدى رسول الله ﷺ .

وعن ابن عباس قال أيد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء إبليس فى جند من الشياطين ومعه رايته فى صورة رجال من بنى مدلج والشيطان فى صورة سراقة بن مالك فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما اصطفت القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله ﷺ يده فقال يارب أن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدا فقال جبريل خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة تراب فرمى بها وجوههم فما أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى ابليس فلما رآه كانت يده فى يد رجل من المشركين فانتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته

فقال الرجل ياسرافة ألم تزعم أنك جار لنا قال إنى أرى مالا ترون ذكره البيهقى قوله إنى أخاف الله قال قتادة صدق عدو الله فى قوله إنى أرى مالا ترون وكذب فى قوله إنى أخاف الله والله مابه مخافة ولكن علم أنه لا نجاة له فاسلمهم وكذلك عادة عدو الله بمن أطاعه وقالت طائفة إنما خاف بطش الله به فى الدنيا كما يخاف الفاجر أن يقتل أو يؤخذ بجرمه لا أنه خاف عقابه فى الآخرة وهذا أصح وهذا الخوف لا يستلزم إيمانا ولا نجاة .

(الفصل الحادى عشر جرى الشيطان من آدم مجرى الدم)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق وعبد الأعلى كلاهما عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حيي رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام يقلبنى وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا فقال لهما على رسلكما إنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يارسول الله قال إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وأنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيأ أو قال شراً متفق عليه ، قال أحمد فى المسند حدثنا الحكم بن موسى قال حدثنا عيسى ابن يونس حدثنا خالد بن سعيد عن الشعبى عن جابر قال رسول الله ﷺ لا تلجوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم قلنا ومنك يارسول الله قال ومنى ولكن الله أعاننى عليه فاسلم * وقال مسلم فى صحيحه حدثنا عبد الله بن سلمة عن ثابت عن أنس أن النبى ﷺ كان مع إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فجاءه فقال يافلان هذه زوجتى فقال يارسول الله ﷺ من كنت أظن به فلا أظن بك فقال رسول الله ﷺ أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم .

(قال الشافعى) خاف النبى ﷺ أن يقع فى قلوبهما شىء من أمره فيكفروا وإنما قال ذلك شفقة عليهما لا على نفسه وقيل فيه استحباب

الاحتراز من كل مكروه مما يجرى به الظن أو يخطر بالبال قال على رضى الله عنه إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره .

(قال الشيخ تقى الدين) إنما حرم الله أكل الدم لأنه يقوى مجارى الشيطان فانه يجرى من ابن آدم مجرى الدم .

(قلت) يشهد لما قال من تحريم الدم حديث عكرمة عن أبى هريرة وابن عباس قالا نهى رسول الله ﷺ عن شريطة الشيطان وهي التى تذبح فيقطع الجلد ولا تفرى الأوداج رواه أبو داود وابن حبان وعنده قال عكرمة كانوا يقطعون منها الشيء اليسير ثم يدعونها حتى تموت ولا يقطعون منها الودج فنهى عن ذلك

(قال الشيخ تقى الدين) والملائكه والشياطين يعلمون ما توسوس به نفس العبد فالملائكة يعلمون ذلك لاحصاء وكتابة ما يهم به من الحسنات والسيئات والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم يعلم ما تهم به نفسه فيوسوس له به .

(قال الشيخ تقى الدين) الملك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة وليس ذلك من علمهم بالغيب الذى اختص الله به وقد روى عن ابن عيينه انهم يشمون رائحة طيبة فيعلمون انه هم بحسنة ويشمون رائحة خبيثة فيعلمون أنه هم بسيئة وهم وان شموا رائحة خبيثة فعلمهم لا يفتقر إلى ذلك بل مافى قلب ابن آدم يعلمونه ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه بل الشيطان يلتقم قلبه فاذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس والشيطان يعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغى فيزينها له وقرب الملائكة من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار سواء كان العبد مؤمنا أو كافرا ولعل أصل جريان الشيطان من ابن آدم مجرى الدم ما قاله وهب بن منبه ان إبليس وضع ابنا له بين يدى حواء وقال أكفليه فجاء آدم فقال ما هذا يا حواء فقالت جاء عدونا بهذا

وقال اكفليه فقال ألم أقل لك لا تطيعيه فى شىء هو الذى غرنا حتى أوقعنا فى المعصية وعمد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع فجاء ابليس فقال ياحواء أين ابنى فأخبرته بما صنع آدم فقال ياخناس أجبنى فأجابه فجاء إلى حواء فقال اكفليه فجاء آدم فحرقه بالنار وذراه فى البحر فجاء ابليس فقال أين ابنى فأخبرته بما صنع آدم فجاء إلى البحر فقال يا خناس تجيبنى فأجابه فجاء به إلى حواء فقال اكفليه فنظر إليه آدم فذبحه وشواه وأكلاه جميعا فجاء ابليس فسألها فأخبرته حواء فقال يا خناس تجيبنى فأجابه من جوف آدم وحواء فقال ابليس هذا الذى أردت أسكنك فى صدور بنى آدم فهو ملتقم قلب ابن آدم مادام غافلا يوسوس فإذا ذكر الله لفظ قلبه وخنس وهذا قد ذكره الحكيم الترمذى وتبعه القرطبى وجماعة من المتأخرين وفيه نظر فان فى الصحيحين عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ « لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل » ولوصح ما ذكره عن وهب كان آدم قد قتل قبل ابنه وهو خلاف الحديث .

(قال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية) هذا من أقبح الكذب والبهتان لايقوله أحد من العقلاء فضلا عن أهل العلم والإيمان ولم يذكره أحد من أهل العلم والدين وقد يقال فى قوله ﷺ ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ان لم يدخل فى ذلك فان وسوسته له إنما كانت مشاهدة بيمين وأقسم أنه ناصح له كما سبق وأما دخول النبى ﷺ فى قوله ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فقال الطحاوى يحتمل أنه ﷺ داخل فى هذا ويحتمل أنه ليس بداخل قال وحديث ابن مسعود يدل على عدم دخوله وهو قوله ﷺ ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قيل وأنت يارسول الله قال وأنا الا أن الله أعاننى عليه فاسلم فلا يأمرنى إلا بخير رواه مسلم قال الإمام أحمد فى المسند حدثنا أسود بن عامر حدثنا سفيان حدثنا منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن ابن مسعود فذكره

قيل هذا القرين من الملائكة غير القرين الذى يحفظ الإنسان بل هذا موكل به يرشده ويهديه وقيل هذا الكاتب الذى يكتب فان كل إنسان له ملكان كاتبان عن يمينه وشماله وقال صاحبنا شمس الدين القونوى هذا غير عام ومن عباد الله من لا يكتب عليه والالزم أن يكون على يسار النبى ﷺ ملك يكتب .

(فان قيل) فما الجمع بين هذا وهو قوله ﷺ إلا أن الله أعاننى عليه فاسلم وبين حديث أبى الأزهر أن النبى ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال بسم الله اللهم اغفر لى ذنبى واخسىء شيطانى وفك رهانى وثقل ميزانى واجعلنى فى الندى الأعلى رواه أبو داود .

(قلنا) ان كانت الرواية فاسلم فعل مضارع فلا معارضة فانه ﷺ عصم منه وسلم من وسوسته لما أعطاه الله من العصمة وان كانت الرواية فاسلم فعل ماض فاخبر عن شيطانه أنه أسلم ببركة النبى ﷺ فجاء يسرق سرق وجاء يفسد صلح كما فى قصة مالك بن دينار لما دخل عليه فى بيته لص يسرق فلم يجد فى البيت شيئا فلما أراد أن يخرج قال له مالك يا هذا لم تجد شيئا فلا تذهب خائبا توضأ وصل ركعتين أو كما قال وعلى هذه الرواية لا أشكال لأنه قال أخسىء شيطانى قبل أن يسلم شيطانه فأسلم بعد ذلك والخسأ فى اللغة القرد يقوله أخس شيطانى أى أذله من جميع الشد الذى فيه حتى لا يبقى له قوة أن يكتبه وان دق والنبى ﷺ شق قلبه واستخرج منه حظ الشيطان

وعن عائشة رضى الله عنها قالت خرج رسول الله ﷺ من عندى ليلا فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك ياعائشة أغرت فقلت ومالى لا يغار مثلى على مثلك قال أفأخذك شيطانك فقلت أو معى شيطان قال نعم قلت ومع كل إنسان قال نعم قلت ومعك يارسول الله قال نعم ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه فأسلم . رواه البخارى وأكثر الرواة على فتح الميم من أسلم إلا سفيان بن عيينة قال بضمها . . قال ابن الجوزى ليس بصحيح لان فى بعض الروايات فلا يأمرنى إلا بخير هذا فى نسخة هنا ويأتى بعد فى هذه .

(وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه) أصح القولين فى ذلك قوله حتى أسلم استسلم لى وانقاد لى ومن قال حتى أسلم فقد حرف لفظه ومن قال الشيطان صار مؤمنا فقد حرف معناه وقوله فلا يأمرنى إلا بخير دل على أنه لم يبق يأمرنى بالشر وهذا اسلامه وإن كان ذلك عن خضوعه وذلته لا لصلاحه ودينه .

عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ فضلت على آدم بخصلتين كان شيطانى كافرا فأعاننى الله عليه حتى أسلم وكن أزواجى عونا لى وكان شيطان آدم كافرا وكانت زوجته عونا على خطيئته .

(فصل) ولم يحتلم النبى ﷺ قط وقد روى شيخ الاسلام الانصارى من حديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال ما احتلم النبى ﷺ قط الاحتلام تلاعب من الشيطان . ورواه الطبرانى ، ورواه ابن عدى ولفظة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ما احتلم نبى قط إنما الاحتلام تعبث من الشيطان » والحديث من رواية إبراهيم بن اسمعيل بن أبى حبيبة مختلف فيه ، وفى تاريخ البخارى .

عن مسلمة بن الملك قال ما تشاءب نبى قط وما احتلم نبى قط وقد ذكر طائفة من المفسرين أن آدم احتلم وامتزجت نطفته بالتراب وخلق منها يأجوج ومأجوج

(قال القرطبى فى التذكرة) قال علماؤنا هذا فيه نظر لأن الأنبياء عليهم السلام لا يحتلمون .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصبح جنبا من جماع من غير احتلام ثم يصوم قولها من غير احتلام قد يفهم منه إمكان الاحتلام .

وفى البخارى عن عائشة أيضا قالت كان النبى ﷺ سحر حتى كان يرى

أنه يأتى النساء ولا يأتيهن قال سفيان هذا أشد ما يكون من السحر .
وفى السنن التثاؤب من الشيطان وكان النبى ﷺ يعطس .

عن أبى هريرة قال كان رسول الله إذا عطس وضع يده على فيه وخفض صوته رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

(قال الشيخ تقى الدين) أصح القولين حتى أسلم استسلم وانقاد لى ومن قال حتى أسلم فقد حرف لفظه ومن قال الشيطان صار مؤمنا فقد حرف معناه وقوله فلا يأمرنى إلا بخير دل على أنه لم يأمره بالشر وهذا اسلامه وان كان ذلك من خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره فلا يأمره إلا بخير لعجزه وله ذلا لصلاحه ودينه .

حدثنا ابراهيم بن نصر حدثنا ابراهيم بن الحجاج عن يعلى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال ما احتلم نبى قط الاحتلام من الشيطان قوله ﷺ ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الملائكة ومن الجن يحتمل أن يوكل بابن آدم شيطانه من حين ولادته كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال ما من مولود إلا الشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم أخرجاه فى الصحيحين وأجرى أهل السنة هذا الحديث على ظاهره من غير تحريف ولا تأويل على عادتهم فى ذلك وتأولت المعتزلة قال الزمخشرى هذا الحديث والله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان فى إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان فى صفتهما لقوله « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب عليه بيده ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومى :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يقول أهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا من نخسه انتهى وقد رد الأئمة هذا على الزمخشري وقالوا الحديث صحيح لا مطعن فيه وتأويل الزمخشري جنوح منه إلى اعتزال منتزع من فلسفة منتزعة من إلحاد ظلمات بعضها فوق بعض قال بعض المحققين وما رؤى الشيطان إلا طعن فى خواصر القدرية حتى نفوها وحمل الزمخشري وأمثاله على أن يقولوا فى كتاب الله وكلام رسول الله ﷺ انه تخييل كما قال فى هذا الحديث ثم نظره بتخييل ابن الرومى جراءه وسوء أدب ولو كان الصراخ غير واقع من المولود الأمكن على بعد أن يكون تخييلا وأما وهو واقع مشاهد فلا وجه لحمله تمثيلا على التخييل وظاهر هذا الحديث أن الشيطان يمس كل مولود إلا من استثنى ويدخل فى ذلك ما لو ذكر اسم الله عند الجماع والحديث فى ذلك إنما جاء بنفى الضرر لا بنفى الأذى فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا متفق عليه . قال ابن الجوزى فى كشف المشكل يحتمل أن لا يضره الشيطان بالكفر فيحفظ عنه ويحتمل أن يحفظ عن الكبائر ويحتمل أن يكون توفيقه للتوبة إذا زل وقال عطاء فى قوله تعالى وقدموا لأنفسكم قال هي التسمية عند الجماع وقال مجاهد فى قوله تعالى وشاركهم فى الأموال والأولاد كان إذا جامع الرجل ولم يسم انطوت الجان على القلفة فجامع فذلك قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان .

من رست وسمت قواعد دينه وبه هوى أمر الضلال وساخا
هو خير من شد الرحال لقصده حادى المطى وفى حماه أناخا
فاعلمنى اكفى عزائل ناصب شركا لنا من كيده وفخاخا
أشكو إلى الله المهيمن عزم من فى الدين اضحى ثابتا رساخا

يجرى مع الدم بالوساوس ما كنا ... فى الصدر هماز به نفاخا
وأفوز بالبشرى إذ ورد الورى ... يو القيامة جاحما طباخا
فنجا التقى ولم يدر فى قعرها ... إلا غويا معولا صراخا

(فصل) ورد أن الشيطان بين الرغوة والصريح من اللبن قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « لا أخاف على أمتى إلا اللبن فان الشيطان بين الرغوة والصريح من اللبن » يحتمل أن يريد العرب أى لا يخاف على العرب إلا اللبن فانه جل عيشهم وعليه يقع الاختلاف . وقد جاء فى لفظ آخر أن النبى ﷺ قال « سيهلك من أمتى أهل الكتاب وأهل اللبن » فسئل رسول الله ﷺ من أهل اللبن قال قوم يتتبعون الشهوات ويضيعون الصلاة قال ابراهيم الحربى أظنه أراد يتباعدون عن الأمصار وعن صلاة الجماعة ويطلبون مواضع اللبن فى المراعى البوادى وأراد بأهل الكتاب قوما يتعلمون الكتاب ليجادلوا به الناس انتهى ويحتمل أن يريد بأهل الكتاب علماء السوء كما فى سنن ابن ماجه أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه .

وفى مسند الامام أحمد عن عبدالله بن عمرو قال رسول الله ﷺ «أكثر منافقى أمتى قراؤها » ورواه جعفر الفريابى من حديث عقبة بن عامر مرفوعا وفى مسند الامام أحمد عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ : « ان من شر الناس رجلا فاجراً جريئا يقرأ كتاب الله لا يرعوى لشىء منه » قوله جرى أى رسولا ودليلا للشيطان .

فقهاؤنا كالذبالة النبراس ... هي فى الحريق وضوءها للناس
حبر ذميم تحت رائق منظر ... كالفضة البيضاء فوق نحاس

(وقال العلاء بن الحداد)

أظهروا للناس سمتا ... وعلى المنقوش دارو

وله صاموا وصـــلوا وله حجـــوا وزاروا
وله قامـــوا وقالوا وله حـــلوا وساروا
لو بدا فـــوق الثريا ولهم ريش لطـــاروا

قال عيسى بن مريم للحواريين يا ملح الأرض لا تفسدوا فإن كل شيء إذا فسد يداوى بالملح وأن الملح إذا فسد ليس له دواء .

(الفصل الثانى عشر)

(هرب الشيطان من الأذان ووسوسته للمصلين من المسلمين)

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع الأذان فإذا قضى الأذان أقبل فإذا ثوب بها أدبر فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى ، متفق عليه ولمسلم إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص .

وقال سهيل بن أبى صالح أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا فناداه مناد من حائط باسمه قال وأشرف الذى معى فى الحائط فلم ير شيئاً قال فذكرت ذلك فقال لو شعرت أنك تلقى هـذا لم أرسلك ولـكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة فأنى سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ إنه قال « إن الشيطان إذا نودى بالصلاة ولى له حصاص » وللدار قطنى « إذا أذن المؤذن خرج الشيطان من المسجد له حصاص فاذا سكت المؤذن رجع فإذا أقام المؤذن خرج الشيطان من المسجد له حصاص فإذا سكن المؤذن رجع حتى يأتى المرء المسلم فى الصلاة فيدخل بينه وبين نفسه حتى لا يدرى أزاد فى الصلاة أو نقص فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم ثم « الحصاص بالحاء والصاد المهملتين هو الضراط مع شدة العدو وقيل هو أن

ينصب أذنيه ويرفع ذنبه ثم يعدو قال الإمام أحمد فى رواية الأثرم لا يبادر الرجل بالقيام عند الأذان يركع لأنه يقال إن الشيطان ينفر حين يسمعه .

وقال الإمام أحمد فى المسند حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « إذا أذن المؤذن هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء وهى من المدينة ثلاثون ميلا» ورواه مسلم فقال الروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلا وهذا فيه فضل عظيم للاذان فان الشيطان يدبر منه ولا يدبر من القرآن ذكره ابن عبد البر .

وقال ابن عباس وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا المراد الشياطين وقال ابن زيد المراد به المشركون .

وقيل المعنى وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده قول لا إله إلا الله هو وأنت تتلو القرآن وإنما يدبر الشيطان من الأذان لئلا يسمعه فيضطر إلى أن يشهد له بذلك يوم القيامة لقوله ﷺ لا يسمع صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة وقيـــل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد * قال مالك استعمل زيد بن أسلم على معدن بنى سليم وكان يصاب الناس فيه من قبل الجن فشكوا إليه ذلك فأمرهم بالأذان فارتفع ذلك عنهم فهم إلى اليوم كذلك قال مالك وأعجبنى ذلك من رأى زيد .

وذكر وكيع أنه ذكر الغيلان عند عمر رضى الله عنه فقال ليس شىء من خلق الله يتحول عن خلقه الذى خلق عليه ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا أحسستم من ذلك شيئاً فأذنوا بالصلاة هـــذا الفضل يدل على عظمة الصلاة وأن الشيطان يجتهد فى الوسوسة فى الصلاة لأنها حالة قرب للمؤمن ومناجاة فيريد اللعين إفسادها أو تنقيصها عليه مهما أمكنه ولا شك أن عمل القلب لا يبطل الصلاة ولو كان أمراً محرما * قال أحمد إذا فكر فى صلاته

حتى شغله لا سجود عليه من يخلو من هذا من يقدر أن لا يفكر وقد حكى المالكية والشافعية الاجماع على ذلك وقيل إن طال عمل القلب أبطل كعمل البدن اختاره ابن الجوزى وابن حامد وبعض الشافعية وهو قول ضعيف لهذه الأحاديث وإذا لم تبطل الصلاة فإنه ينقص أجره بذلك . قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ولا يثاب إلا على ما عمل بقلبه فلا يكفر من صلاته إلا بقدره والباقى يحتاج إلى تكفير .

وعن عمار أنه صلى ركعتين فخففهما فقيل له فى ذلك فقال هل نقصت من حدودها شيئا قال لا ولكن خففتها إنى بادرت بها السهو إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الرجل ليصلى ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها حتى انتهى إلى آخر العدد » رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وعن أبى اليسر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ منكم من يصلى صلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر رواه أحمد والنسائى وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن مالك النكرى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف النبى ﷺ من أجمل الناس فكان رجال فى آخر صفوف الرجال ينظرون إليها وكان أحدهم ينظر إليها من تحت إبطه وكان أحدهم يتقدم إلى الصف الأول لا يرونها فأنزل الله تعالى هذه الآيه « ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين » رواه الترمذى والنسائى وهذا فكر فى محرم ووعظهم الله فى ستر « فان قيل » قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . قال أبو العالية هو الذى لا يدرى عن كم انصرف عن شفع أو وتر وهذا يقتضى أن عمل القلب حرام وأن الوسوسة التى تذهل عن الركعات محرمة « قلنا » قد ثبت بالاخبار الصحيحة أن الوسوسة وعمل القلب لا يبطل الصلاة ولكن ينقص أجرها بذلك وما ذكرتم من الآيه فعن أنس ابن مالك وابن عباس رضى الله عنهم

قال الحمد لله الذى لم يقل فى صلاتهم وإلا كان وعيداً للمؤمنين وإنما قال عن صلاتهم أى ساهون عنها سهو ترك وقلة مبالاة والتفات إليها فالسهو فى الصلاة من أفعال المؤمنين والسهو عنها من أفعال المنافقين والكفار قال ابن عطاء ليس فى القرآن وعيد صعب إلا وبعده وعد لطيف غير قوله « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » وأما ما قاله أبو العالية فلا يصح لأنه ﷺ سها فى صلاته ولأنه قال عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم وتأويل الأئمة قول أبى العالية على السهو الدائم لا القليل النادر وقال ابن الجوزى لا أظنه أراد السهو النادر وإنما أراد السهو الدائم وذلك بتشاغل القلب عن قلة احترام الصلاة فيتوجه الذم إلى ذلك السهو انتهى .

فالسهو خطأ عن غفلته وذلك ضربان أحدهما أن لا يكون من الإنسان جواله ومولداته كالمجنون يسب إنساناً والثانى أن يكون منه مولداته كمن شرب خمراً ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله والأول معفو عنه والثانى مؤاخذ به وفى الجملة السهو فى الصلاة مما ينقص ثوابها وذلك مما يتفاوت فيه الناس والشيطان يجلب على المصلى بخيله ورجله ولهذا عظمت الصلاة الخالية من الوسوسة والسهو حتى قال رسول الله ﷺ « من صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » * وفى الصحيحين من حديث عثمان رضى الله عنه « من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » وللناس فى هذا قولان أحدهما لا يحدث بشىء من الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة ولو عرض له فاعرض عنه عفى عن ذلك وحصلت له الفضيلة لأن هذا ليس من فعله فالخواطر التى تعرض ولا تستقر معفو عنها واختار ذلك الماوردى والقاضى عياض والنووى وأراد النبى ﷺ حديث النفس المجتلب والمكتسب * وقوله يحدث فيهما نفسه فيه إشارة إلى أن ذلك الحديث مما يكتسب لإضافته إليه والقول الثانى أن الحديث من غير قصد يرجى أن تقبل معه الصلاة ويكون دون صلاة من لم يحدث نفسه بشىء لأنه ﷺ إنما ضمن الغفران لمراعى ذلك

وما زال فى المصلين من يقبل على صلاته بقلبه ووجهه ولا حديث نفسى * قال سعد بن معاذ رضى الله عنه ثلاث خصال أنا فيما سواهن ضعيف ما سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم قولا إلا علمت أنه حق من الله وفى رواية إلا كأنى أسمعه من الله وما صليت صلاة فالهانى غيرها عنها حتى أفرغ منها وما تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ما هى قائلة أو مقول لها حتى أفرغ منها قال ابن اسحق قلت للزهرى هل سمعت هذه الثلاث فطأطأ رأسه هيبة ثم قال رحم الله سعدا فهو المأمون عندنا وعند المسلمين وما كنت أظن هذه الخصال إلا فى نبى وكان مسلم بن يسار فى الصلاة فانهدمت ناحية من المسجد وقام الناس وهو فى الصلاة لا يرفع وقيل لعـــامر بن قيس أتحدثك نفسك فى الصلاة قال أبالجنه والحور العين قالوا لا ولـكن بالأهل والمال قال لأن تختلف الأسنة فى أحب إلى من أن أجـد ذلك ويعين على ذلك شيئان قوة المقتضى بالتدبر وأنه مناج لله تعالى وضعف التشاغل ومتى كان للقلب آلة تلهيه عن الله فسد وهلك هلاكا لاصلاح معه عن عكرمة عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ « من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشىء فله عبد أو فرس » فقام رجل يصلى فصلى ركعتين فلمـــا جلس أتاه الشيطان فقال أيهما تأخذ العبد أو الفرس فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابن عدى .

(فصل) فى الفرق بين هاتين الروايتين عن سعد بن معاذ فقوله ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم قولا قط إلا كأنى أسمعه من الله بين وقوله الا عرفت أنه حق .

هذا خلق عظيم فصاحب الـكلمة الأولى قد هتك الحجب وتخطى الدارين وصار بين يديه يجول وبه يصول وبه يلوذ وإياه يلاحظ ، وقد تحير كثير من السلف فى قول سعد وقالوا كيف تنقطع الوسوسة من القلوب فقال الحسن ما جعل الله هذا عندنا وقال الزهرى ما كنت أظن هـــذه الخصال إلا فى نبى .

(فان قيل) قال البخارى قال عمر رضى الله عنه إنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة وقال أبو عثمان النهدى عن عمر إنى لأومر أمرائى وأبعث جيوشى وأنا فى الصلاة وعنه إنى لأحسب جزية البحرين وأنا فى الصلاة ويغلب على ظنى أنه جاء عنه رضى الله عنه إنى جهزت جيشا ووصلت معهم وادى القرى وأنا فى الصلاة وقد ذكرتم عن سعد بن معاذ أنه قال ما صليت صلاة شغلنى عنها غيرها حتى أفرغ منها فايما أعلى فى هذين المقامين مقام عمر بن الخطاب أو مقام سعد بن معاذ رضى الله عنهما .

(فنقول) تكلم الناس قديما وحديثا فى هذا فقالوا للمصلين خمسة أحوال الأول مصل ينقص من وضوئه ومواقيته وحدود أركانه ، الثانى محافظ على ذلك مضيق مجاهد نفسه فى الوسوسة الثالث محافظ مجاهد فى الوسوسة الرابع محافظ على الوضوء والمواقيت والأركان مشغول بقلبه مع الله جل جلاله بحفظ هذه الحدود الخامس محافظ على الوضوء والمواقيت والأركان مشغول بربه قرير العين به محفوظ عليه حدودها كما جاء إن العبد إذا قام يصلى قال الله تعالى أرفعوا الحجب فاذا التفت قال أرخوها فهذا القلب إلى سوى صلاة أو نفسا أو دنيا بعد أن يلتفت فالأول معاقب والثانى محاسب والثالث مكفر عنه والرابع مثاب والخامس مقرب ولهذا قال ﷺ وجعلت قرة عينى فى الصلاة فمن قرت عينه فيها فللقرب بربه لأنه ينال منه براً وكلماً ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد ولهذا قال جعلت قرة عينى فى الصلاة وقال لبلال أرحنا بالصلاة فسعد بن معاذ رضى الله عنه كان من الصنف الرابع وأنه لم يحل من الإتقان للصلاة والإقبال على ربه بصلاته وعمر رضى عنه وأرضاه وجمعنا فى زمرته من الصنف الخامس المقبلين على ربهم فى صلاتهم بقلوبهم إلى ربهم فهم مشغولون بجلاله وجماله ومجده وعظمته مصلين وغير مصلين وعمر متقلد أمور المسلمين ولم تشغله عن الله لأنه مشغول بأمره معه وكيف ما دار مع الأحوال مع ربه أما المشغول بأمره فيه فهو فى غفلة ومحدث

قلبه فى قبضة الله به يعقل وبه يسمع وبه يبصر وينطق سواء فكر فى شأن صلاته وامارته لأن الكل فرض وفكره فى ذلك مع ربه فيه يفكر وبه يولى وبه يعزل فليس فى هذا نقص لأن هذه الأشياء لا يقدر أن يأخذه من الله فحال عمر رضى الله عنه فى هذا حال الأقوياء وحال سعد حال الضعفاء وقد أطلنا فى هذا فى كتاب الباهر وذكرنا كلام الناس هناك .

(فصل) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصلى فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وأتوا بانبجانية أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى رواه البخارى وفى رواية له كنت أنظر إلى علمها وأنا فى الصلاة فأخاف أن تفتنى فما وجه هذا الحديث قلنا ليس فيه بيان أنه شغل القلب أو شغل العين لأنه قال كادت تفتنى فعلم أنه شغل العين ولو كان شغل القلب مع النظر بالعين كانت الفتنة فعلم أنه شغل العين لا القلب فمشغول القلب بالله لا يشتغل بالأشياء عنه لا قلبه فلا يصل إلى قلبه شىء بالا لهاء للعين والفتنة للقلب قال ابن الجوزى الحكمة فى رد الخميصة إلى أبى الجهم وقال إنى نظرت إليها فى الصلاة فكادت تفتنى وهو لم يلتفت إلى الأكوان ليلة الإسراء لقوله تعالى ما زاغ البصر انه كان فى تلك الليلة خارجاً عن طباعه فأشبه نظره من ورائه وإذا رد إلى الطبع البشرى أثر فيه ما يؤثر فى البشر ، الأنبجانية كساء أسود والخميصة كساء له أعلام * قال الحافظ أبو الفضل ابن ناصر سألت أبا الفتوح أحمد ابن محمد الغزالى عن هذا الحديث اذهبوا بهذه الخميصة وأتونى بانبجانية أبى جهم فقلت إذا كان النبى ﷺ مع قوته قال ألهتنى فكيف ينفذها إلى أبى جهم فقال كان الموطن كدرا فنفذ إليه ما يليق به فقلت كان ينبغى أن يزيل الكدورة لا يزيدها فلم يقل شيئاً قال الحافظ ومعنى الحديث أن الانبجانية كانت للنبى ﷺ وإنما أضافها إليه لأنها كانت عليه والخميصة كان قد استعارها منه ليلبسها للوفد .

(فصل) قال يزيد بن هرون عن إسمعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك

قال قال رسول الله ﷺ الوسوسة فى الصلاة صريح الإيمان وقال ابراهيم النخعى آية قبول صلاة المؤمن الوسوسة وذلك أن أهل الكتاب لا يوسوسون فما وجه هذا قلنا طيب النبى ﷺ قلوب المؤمنين لما اغتموا بالوسوسة بأنها علامة الإيمان ليكون ذلك تسلية لهم والكفار قلوبهم خالية من الخير ممتلئة من الشر قد صيرها الشيطان بيتا لنفسه فلماذا يوسوس له ليفسد عليه صلاته بخلاف المؤمن فان عنده كنزاً يدور عليه الشيطان فالقلوب ثلاثة قلب خالى من الإيمان والخير وهو قلب الكافر بيت الشيطان وقلب فيه إيمان وعليه ظلمة الشهوات فهناك إقبال وادبار فلا يخلو من وسوسة وقلب محشو بالإيمان كله نور ولنوره فى صدره إشراق ولإشراقه شعاع ولإشعاعه شعل فاذا دنا منه الوسواس صار رماداً وقد قيل إذا تمكن ذكر الله من القلب فان دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسه الأنسى وقالت الصحابة يارسول الله ليجد الرجل فى نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم فقال وقد وجدتموه فقالوا نعم فقال الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة قال العلماء كراهته لذلك وفرار القلب منه هو صريح الإيمان والوسواس يعرض لكل من يتوجه إلى الله فينبغى للعبدان يثبت فان ملازمة ذلك تصرف عنه كيد الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفاً وكلما ازداد توجه العبد جاء من الوسواس أمور أخرى فان الشيطان بمنزلة قاطع الطريق كلما ازداد العبد سيراً قطع الطريق عليه ولهذا قيل لبعض السلف قيل إنه أبو بكر الصديق قاله شيخ الاسلام ابن تيمية فى الأجوبة عن اليهود والنصارى أنهم قال لا نجد الوسوسة فى صلاتنا - ما يصنع الشيطان فى البيت الخراب* قالوا أحمد ابن أبى الحوارى شكوت إلى أبى سليمان الدارانى الوسوسة فى الصلاة فقال إذا أردت أن ينقطع عنك فاذا أحسست به فافرح فانك إذا فرحت انقطع عنك لأنه لا شىء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن وان اغتممت به زادك قال بعض العلماء لأن الوسواس إنما يبتلى به من كمل إيمانه فان اللص الا يقصد بيتا خرابا.

(فصل) ولما كان الشيطان يراصد ابن آدم فى الصلاة يوسوس له حتى تنقضى صلاته جعل تحريك أصبع المصلى فى التشهد مذعرة للشيطان كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ تحريك الأصبع فى فى الصلاة مذعرة للشيطان فيه الواقدى ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يشير بها وعن خفاف بن إيماء الصحابى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يشير بها إلى التوحيد وقد ذكر القرطبى أن أصبعه صلى الله عليه وسلم الشاهدة كانت أطول من التى تليها وفيه نظر ولعله اشتبه بأصبع رجله فانها كانت أطول قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنا يزيد بن عبد الله بن مقسم حدثتنى عمتى سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت آدم قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلم وهو على ناقته وأنا مع أبى وبيد رسول الله ﷺ درة كدرة الكتاب فسمعت الناس يقولون الطيطية الطيطية فدنا منه أبى فاخذ بقدمه فأقر له رسول الله ﷺ قالت فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه قال عمر بن عبد العزيز سأل رجل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فلما كان فى الحول رأى فيما يرى النائم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد عند منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل رقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه . فاذا ذكر الله عز وجل خنس ذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان قال تعالى حكاية عن الشيطان قال فيما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم أشككهم فى آخرتهم وأنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم أرغبهم فى دنياهم وأكذبهم بما فيها من الآيات وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وأبطلهم عن حسابهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى * قال قتادة أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل ناحية غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله قال اسحق ابن راهويه قال ابن عباس لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من

فوقهم وقد صح عنه ولهذا جاء فى الحديث الإستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عباد بن مسلم حدثنا ابن أبى سليمان بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عمرو يقول لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى يعنى الخسف رواه الخمسة الا أبا داود وصححه ابن حبان والحاكم .

(الفصل الثالث عشر مبيت الشيطان على خياشيم ابن آدم)

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا استيقظ أحدكم من منامه فليتوضأ وليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه متفق عليه قد يقال إن الشيطان إنما بات على خياشيمه لبعده عن مواقع العبادة فان العين باب النظر إلى خلق السموات والأرض قال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون فهى باب العبرة والفهم باب الفكر فاذكرونى أذكركم واذكروا الله لعلكم تفلحون والأذن سماع ذكر الله وآياته قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وليس فى الخياشيم شىء من هذه المعانى ويجوز أن يكون يدخل الشيطان فى الإنسان من طريق الخياشيم ويقول الناس لمن ظهر فيه كبر نفخ الشيطان فى منخره قال الحجاج فى خطبته يا أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان فى مناخركم حين قلتم مات الحجاج فمه وهل يرجوا الحجاج الخير كله إلا بعد الموت ولهذا قال النبى ﷺ التثاؤب فى الصلاة من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع والخياشيم باب ظاهر ليس له طبق والعين والفم لهما طبقات فلا يجد العدو اليه سبيلا كما لا يجد إلى السقاء إذا أوكى وذكر اسم الله عليه وإلى الباب إذا أغلق سبيلا ، وفى صحيح

مسلم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أغلقوا الباب وأوكئوا السقاء واكفؤا الاناء وأطفئوا المصباح فأن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ولا يحل وكاء ولا يكشف آنية وان الفويسقة تضرم على الناس بيوتهم .

(فصل) وقد اختلف الناس فى قوله ﷺ إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدرى أين باتت يده لأى معنى أمر الشارع بغسل اليد ههنا فقال القاضى أبو يعلى وأصحابه هذا تعبد محض لأنه ليس بنجاسة حقيقة وقيل معلل بوهم النجاسة وقال آخرون انه من مبيت يده ملابسة للشيطان لأنه ﷺ أمر بغسل الخيشوم معللا بمبيت الشيطان عليه فعلم أن ذلك سبب للغسل غير النجاسة والحدث المعروف وقوله فان أحدكم لا يدرى أين باتت يده يمكن أن يراد به ذلك فتكون هذه العلة من العلل المؤيدة التى شهد لها النص بالاعتبار .

(الفصل الرابع عشر فى نصب الشيطان عرشه على الماء وإرسال سراياه)

عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول ما صنعت شيئا ويجىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله فيدنيه أو قال فيلتزمه ويقول نعم أنت رواه مسلم وإبليس يضع كرسيه على البحر قال أحمد حدثنا يونس حدثنا حماد بن سلمة عن على عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال لإبن صياد ما ترى قال أرى عرشا على البحر حوله الحيات فقال رسول الله ﷺ رأى عرش إبليس ، عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن أبى موسى الأشعرى قال رسول الله ﷺ إن ابليس يبعث جنوده إلى المسلمين فيقول أيكم أضل رجلا ألبسته التاج فإذا رجعوا قال لبعضهم ما صنعت قال ألقيت بينه وبين أخيه عداوة قال ما صنعت شيئا سوف يصالحه ثم يقول للاخر فانت ما صنعت قال ما زلت به حتى طلق امرأته

قال ما صنعت شيأ سوف يتزوج أخرى فقال للآخر فانت ماصنعت قال مازلت به حتى شرب الخمر قال أنت أنت ثم يقول للاخر فأنت ما صنعت قال مازلت به حتى قتل فيقول أنت أنت رواه الإمام أحمد فى مسنده *

واعلم أن الطلاق قسمان أحدهما أن يكون محرما أو مكروها وذلك عند استقامة الحال من حسن العشرة والصحبة وقوة المحبة والقيام بحقوق الله تعالى وأداء الزوجة ما يجب عليها من طاعة الزوج ونحو ذلك والطلاق فى هذه الحالة إما حرام أو مكروه على اختلاف بين العلماء والثانى أن يكون الطلاق واجبا أو مندوبا وذلك عند الشقاق والعداوة والمضارة وسوء العشرة وترك حقوق الله من الصلاة وتعاطى المنكرات ونحو ذلك مع عجزه عن تغيير ذلك فالطلاق فى هذه الحالات إما واجب أو مستحب على اختلاف بين العلماء فيحمل الحديث الأول فى فرح الشيطان بالطلاق والفراق بين الزوجين على الحالة الأولى فان فرقة المتحابين المجتمعين على الطاعة والحلال هلاك لكل واحد منهما فى الزنا وارتكاب الفواحش الظاهره والباطنة والسحر والعداوة وتشتت القلب وربما يكون ذلك وسيلة إلى عودة إليها حراما ويحمل الحديث الثانى فى قوله ما زات به حتى طلق امرأته قال ما صنعت شيأ سوف يتزوج أخرى على الحالة الثانية إذا كان الطلاق مندوبا .

(الفصل الخامس عشر فى ذكر شياطين العبادات من الاسلام)

والصلاة والوضوء والصيام وان الشيطان يقعد للناس على الصراط المستقيم

قال تعالى عنه أنه قال (رب بما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم)* عن أبى سبرة عن ابن أبى الفاكه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الشيطان قعد لإبن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر أرضك وسمائك وإنما مثل المهاجر كالعرش فى الطول فعصاه ثم قعد له بطريق

الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان وقعت به ناقته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة وان قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة رواه الإمام أحمد فى مسنده * قال منصور عن مجاهد ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عددهم .

(فصل) عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى قال ذاك خنزب فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه وانفل عن يسارك رواه مسلم قال ابن أبى موسى من كثر منه الشك حتى صار كالوسواس طاعنه لأنه يفضى إلى نوع من المكابرة فيفضى إلى الزيادة فى الصلاة مع تيقن إتمامها قال مالك الموسوس يبنى على أول خاطر والشيطان لعنة الله له مع الإنسان فى الصلاة مواقف فيشككه فى كيفية النية حتى يصححها والنية قصد تتبع العلم فبلغ من استيلاء الشيطان على الموسوسين أنهم أجابوه إلى مايشبه الجنون ويقارب مذاهب السوء فشيطانية الذين ينكرون حقائق الموجودات والأمور المحسوسات وعلم الإنسان بحال نفسه من الأمور اليقنيات الضروريات وهؤلاء يكبر أحدهم ويقرأ بلسانه ماتسمعه أذناه ويعلمه بقلبه ثم يصدق الشيطان فى انكاره يقينا وجحد لما رآه ببصره وسمعه بأذنه وكذلك يشككه فى نيته وقصده التى يعلمها من نفسه يقيناومع هذا يقبل قول ابليس فى أنه ما نوى الصلاة ولا أرادها مكابرة منه لعيانه وجحد ليقين نفسه فيشككه فى نيته حتى يفوته إدراك التكبيرة الأولى مع الامام وقد قال رسول الله ﷺ من صلى أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الاولى كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق رواه الترمذى وغيره من حديث أنس وهو حديث حسن صححه الحاكم وغيره وذكره ابن الجوزى فى كتاب الموضوعات وليس ذلك بموضوع كما قد بينا ذلك فى كتاب الباهر* قال علماؤنا وغيرهم إذا شهد المأموم تكبيرة الإمام واشتغل عقيبها بعقد

صلاته أدركها وإن أخر لم يدركها وهذا الموسوس لا يدرك هذه التكبيرة وليس له فيها نصيب ومنهم من تفوته الركعة الأولى ورأيت من تفوته صلاة الجمعة والجماعة وهو مشتغل بتصحيح النية والتكبير ومنهم من يتلفظ بالنية سراً وهـــذا سهل فان العلماء اختلفوا فى استحباب التلفظ بها ثم يخدعهم الشيطان فيجهرون بها فكلفظ الإجماع ثم يكررون لفظها ثم يكررون لفظ التكبير أو يكرر الحرف فيقول اكاك كبر وغير ذلك من خدع الشيطان وقدبين الشيخ موفق الدين ذلك فى جزء له سماه ذم الشيطان والوسواس وقد قال بعض العلماء لمن سأله إنى أقول الله أكبر وأشك بعد ذلك فقال له أنت غير مخاطب بالصلاة فقال لماذا قال لأن من كبر وشك هل كبر غير مخاطب لأنه مجنون غير مخاطب قد رفع عنه القلم قال الشيخ موفق الدين لو كلفه الله الصلاة والوضوء بغير نية لكلفه مالا يطيقه ولا يدخل تحت وسعه وما كان هكذا فما وجه التعب فى تحصيله وان شك فى حصوله فهذا نوع جنون وقال ابن عقيل وقد قيل له رجل انغمس فى الماء مراراً وشك هل صح الغسل أم لا فما ترى فى ذلك فقال له اذهب فقد سقطت عنك الصلاة قال وكيف قال لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق ومن ينغمس فى الماء مراراً وشك هل أصابه الماء أم لا فهو مجنون قال الشيخ تقى الدين ابن تيمية وجود الإرادة غير العلم بذلك فقد فطر الله بنى آدم على محبته كنفسه وكثير أنكر ذلك تكون صحبة نفسه فى قلوبهم وإن لم يعلموا بذلك كما أن الذى يدخل فى الصلاة قد نواها وقد يظن أنه ما نواها فوجود المحبة والارادة غير العلم بذلك .

(فصل) عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الإمام أحمد وابن ماجه وابن خزيمة والترمذى وقال غريب ليس بالقوى لا نعلم أحداً أسنده غير خارجه ابن مصعب روى من غير وجه عن الحسن قوله لا يصح فى هذا

الباب عن النبى صلى الله عليه وسلم شيء وخارجه ليس بالقوى عند أصحابنا ، وكذا قال البيهقى انفرد برفعه خارجة وليس بالقوى فى الرواية قال النخعى تشديد الوضوء من الشيطان لو كان هذا فضلا لأوثر به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وقال إبراهيم التيمى أول ما يبدأ الوسواس من الوضوء * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أو فى الوضوء اسراف قال نعم ولو كنت على نهر جار رواه الإمام أحمد وابن ماجه وفيـــه ابن لهيعة فينبغى للمتوضىء أن يخفف فى ثنتين أحدهما فى النية كما سبق فى نية الصلاة فأنى رأيت بعض الموسوسين يقعد على بركة الوضوء من وقت طلوع الصبح إلى أن تطلع الشمس وهو فى تحقيق النية فيفوته الوقت والثانى فى غسل الأعضاء ودلكها وتكرير للغسلات وبعض الناس تمضمض واستنشق فوق الخمسين مرة وهو يظن أنه لم يأت بالسنة بعد نسأل الله العفو والعافية .

(فصل) قال القرطبى سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبد المعطى بثغر الاسكندرية يقول إن شيطانا يقال له البيضاوى يتمثل للفقراء المواصلين فاذا استحكم منهم الجوع وأضر بأدمغتهم يكشف لهم عن ضياء ونور حتى يملأ عليهم البيوت فيظنون أنهم قد وصلوا وأنه من الله وليس كما ظنوا * وحكى أحمد بن طاهر الفراء قال كان بمصر بيت للضيافة فجاء فقير يكنى بأبى سليمان الضيافة فقلت لإبنى امض به إلى البيت فأقام معنا تسعة أيام أكل فيها ثلاث أكلات كل ثلاثة أيام أكلة فسألته المقام عندنا فأبى وقال أريد الثغر فسألته أن لا يقطع أخباره عنى فغاب عنى ثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت له ويحك ما كتبت إلى بأخبارك فقال لم أبلغ الثغر كنت بالرملة فرأيت فيها شيخا يقال له أبو شعيب مبتلى فخدمته سنة فوقع فى نفسى أنى أسأله أى شيء كان سبب بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعنيك فصبرت سنة أخرى ثم تقدمت إليه لأسأله فقلت إن رأيت قال

نعم بينما أنا أصلى بالليل فى محرابى إذ بدا لى من المحراب نور قوى كاد يخطف بصرى قلت اخسأ يا ملعون فان ربى أجل من أن يبرز إلى الخلق ثم صبرت ساعة فبدا لى نور كاد يخطف بصرى فقلت اخسأ يا ملعون فان ربى أجل من أن يبرز للخلق ثم بدا الثالثة أشد مما بدا وأقوى من الأول والثانى فقلت يا ملعون اخسأ فلو نورت السموات والأرضين والعرش والكرسى كان ربى أجل من أن يبرز للخلق ثم سمعت نداء يا أبا شعيب قلت لبيك ثلاث مرات : تحب أن نفضلك فى وقتك هذا ونجازيك على ما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليين فقلت بلاؤك بلاؤك بلاؤك فذهبت عينى ويدى ورجلى قال فكنت أخدمه ثنتى عشرة سنة فقال لى يوما ترى ما أرى قلت لا قال تسمع ما أسمع قلت لا قال ادن منى فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضا يقول العضو للعضو أبرز منه فاذا أعضاؤه بين يديه صبة واحدة تسبح وتقدس ثم مات رحمه الله .

(فصل) قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم * قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان للمة بابن آدم وللملك للمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا الترمذى والنسائى عن هناد وابن حبان فى صحيحه عن أبى يعلى عن هناد قال الترمذى حسن غريب وهو حديث أبى الأحوص سلام بن سليم ولا نعرفه مرفوعا إلا من حديثه كذا قال ورواه ابن مردويه من غير طريقه مرفوعا قال حمدون القصار إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء

كفرهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمناً ، ورجل يموت على الكفر، وقلب فيه خوف الفقر . ويشهد لقول ابن مسعود قوله تعالى « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » أى يخوفكم بأوليائه بما قذف فى قلوبكم من الوسوسة المرغبة لشيطان الإنس الذى يخوف من العدو فيرجف ويخذل . وعكس هذا قوله تعالى « إذ يوحى ربك للملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . وقال تعالى « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا » والتثبيت جعل الإنسان ثابتاً وذلك بإلقاء ما يثبته من التصديق بالحق والوعد بالخير كما قال ابن مسعود لمة الملك إيعاد بالخير وتكذيب بالشر فمتى علم القلب أن ما أخبر به الوسواس حق صدقه وإذا علم أن الله قد وعده بالنصر وثق بوعد الله فيثبت فهذا ثبت بالكلام كما يثبت الإنسان فى أمر قد اضطرب فيه بأن يخبره فيصدقه ويخبره بما يتبين له أنه مصدق فيثبت وقد يكون التثبيت بالفعل فيمسك القلب حتى يثبت كما يمسك الإنسان الإنسان .

(وفى الحديث) عن النبى ﷺ من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله إليه ملكا يسدده فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقى فى قلبه من التصديق بالحق والوعد بالخير كما قال الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء والملائكة رسل الله ولفظ الملك فيه معنى الرسالة فان أصل الكلمة ملأك على مفعل ولكن خففت لكثرة الاستعمال لأن الهمزة حركت الهمزة على الساكنين قبلها وحذفت الهمزة .

(قال الإمام أحمد) . حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحيى

سبعين شيطاناً . وقد قيل إن الشيطان يأتى الرجل بسبعين من جنوده فيتعلقون بيده ورجليه وقلبه ويمنعونه من الصدقة فقال بعض القوم أنا أقاتل هؤلاء السبعين فخرج إلى منزله وملأ ذيله من الحنطة ليتصدق به فوثبت زوجته ونازعته حتى أخرجته من ذيله فرجع الرجل خائباً إلى المسجد وقال هزمت السبعين وجاءت أمهم فهزمتنى .

(الفصل السادس عشر فى راية الشيطان)

قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما من خارج يخرج إلا ببابه راية بيد ملك وراية بيد شيطان فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته . وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق فيرمون الناس بالترابيب ويثبطونهم عن الجمعة وتقوم الملائكة فتجلس على أبواب المسجد فيكتبون الرجل من ساعة والرجل من ساعتين حتى يخرج الإمام ورواه أبو داود عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من غدا إلى صلاة الصبح أعطى ربع الإيمان ومن غدا إلى السوق أعطى راية إبليس وهو مع أول من يغدو وآخر من يروح ذكره أبو القاسم فى الترهيب . كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل السوق قال اللهم إنى أعوذ بك من شر هذه السوق وشر ما فيها وأعوذ بك أن أصيب فيها صفقة خاسرة ويميناً فاجرة ذكره الضياء فى المختارة ولما كانت الأسواق تنصب الشياطين راياتها فيها كان الذكر فيها مضاعفاً . قال الإمام أحمد حدثنا حماد بن زيد عن عمرو ابن دينار مولى أبى الزبير عن سالم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله

عنهم قال رسول الله ﷺ من قال فى سوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير كتب الله له بها ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتاً فى الجنه ورواه الترمذى فى جامعة والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول من حديث يزيد بن هرون حدثنا أزهر بن سنان القرشى عن محمد بن واسع عن سالم بن عبد الله بن عمر عن عمر قال قال رسول الله ﷺ من دخل سوقاً من أسواق المسلمين فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وحطت عنه ألف ألف سيئة ورفعت له ألف ألف درجة . قال محمد بن واسع فقدمت خراسان فلقيت قتيبة بن مسلم فقلت له قد جئتك بهدية فحدثته به فكان يركب فى مركبه إلى السوق فيقولها ثم يرجع . وهذه الكلمات يخرج بها الإنسان عن الغفلة والغفلة مستولية على أهل الأسواق وهو سبحانة وتعالى المعطى والمانع والقابض والباسط والرازق وضع الأسباب وجعلها نصب أعين الآدميين فأهل البصائر واليقين تقذف بصائرهم لأولى الأسباب فهم يعملون فى الأسباب مع وليها ويبتغون الأرباح من فضل الله وأهل الغفلة تعلقت قلوبهم بالتجارات والزراعات والصناعات والأسواق مظان الأرزاق وهي مملكة وضعها الله تعالى لأهل الدنيا بتداول الأملاك فالشىء الواحد يدور ملكه فى اليوم الواحد مرات فمملكة التداول هي الأسواق ومملكة التدبير التداول وهو العرش .

وأعلم أن هذه الكلمات التى قالها رسول الله ﷺ فسخ لأفعال أهل الأسواق لأن القلوب قد لمت بعضها بعضا فى النفع والضرر فقال هذا الذكر لا إله إلا الله فكان فى قوله فسخاً لوله قلوبهم وحده لا شريك له فكان فى قوله فسخاً لما تعلقت قلوبهم بعضها ببعض فى نوال أو معروف أو خوف أو ضرر ثم قال له الملك فكان فى قوله فسخاً لما يرون من تداول أيدى

المالكين تلك الأشياء قال وله الحمد كان فى قوله فسخا لما يرون من منع أيديهم وتصرفهم فى الأمور يحمل ذلك بعضهم إلى بعض ، ثم قال يحى ويميت كان فى ذلك فسخاً لحركاتهم فان تلك حركات تملك واقتدار فقال يحيى أى هو أحياهم حتى انتشرت الحركات على جديد الأرض ويميت أى يميتهم فلا يبقى متحرك ثم قال وهو حى لا يموت نفى عنه ما نسب إلى المخلوقين فى حياتهم من أنهم يموتون ثم قال بيده الخير أى هذه الأشياء التى يطلبونها من الخير فى هذه الأسواق وجميع الخير بيده وهو على كل شىء قدير، فمثل أهل الغفلة والتخليط فى هذه الأسواق كمثل الهمج والذباب يجتمعون على مزبلة يتطايرون فيها على القذر فعمد رجل إلى مسكنه فكنس هذه المزبلة إلى الوادى فاذا البقعة نظيفة فهذا الناطق بهذه الكلمات وجد أسواقا مشحونة بالكذب والغش والخيانة والظلم والعدوان والإيمان الكاذبة والمكاسب الردية قد تمكن فيهم العدو وهم على شرف حريق وعذاب فنطق بهذه الكلمات فرمى بهذه المزبلة فى وجه العدو .

(الفصل السابع عشر فى تصفيد الشيطان فى رمضان)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين متفق عليه المشهور أن ما فى هذه الأحاديث حقيقة فتفتح أبواب الجنة حقيقة وتغلق أبواب النار كذلك وقالت طائفة إنه كناية عن أفعال الخير التى هى سبب دخول الجنة وكناية عن ترك المعاصى التى فعلها سبب لدخول النار (فان قيل) لو كان ذلك حقيقة لكانت الجنة مغلقة فى سائر السنة إلا فى رمضان ولكانت النار مفتحة سائر السنة إلا فى رمضان وإلا لم يكن الحديث فيه معنى (قلنا) لفظ فتحت وغلقت يقتضى التكثير فيجوز أن تكون أبواب الجنة بعضها

مفتوحاً وبعضها مغلوقا كما فى المساجد فى غير أوقات الصلاة والأعياد وأبواب الملوك فى غير وقت الاجماع العام عند الملك فأما وقت الاجتماع فإنه تفتح الأبواب كلها فلا يبقى باب إلا فتح . وما فى جامع الترمذى عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى منادیا يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك فى كل ليلة وقال حديث حسن . وقد جاء فى الحديث أن الجنة تزخرف فى شهر رمضان ومن تمام تزيينها فتح جميع أبوابها وكذلك القول فى جهنم أجارنا الله منها أنها فى غير شهر رمضان منها ما هو مغلوق ومنها ما هو مفتوح وقد يكون لها أبواب كبار وصغار وخوخات فى الأبواب فإذا جاء رمضان سدوا الكل والجنة بعد دخول المؤمنين إليها تبقى مفتحة الأبواب وجهنم بعد دخول أهلها إليها مسدوده الأبواب مردودة بالعمد وأما أمر الشياطين فانها تسلسل وتغل فى رمضان على ظاهر الحديث أو المراد مردة الشياطين كما فى هذا اللفظ وكذا جزم به أبو حاتم ابن حبان وغيره من أهل العلم فليس فى ذلك اعدام الشر بل قلة الشر لضعفهم وفى الترمذى وابن ماجه صفدت الشياطين ومردة الجن وفى النسائى وتغل فيه مردة الشياطين وقد أجرى الإمام أحمد هذا على ظاهره قال عبد الله ابن الإمام أحمد قلت لأبى قد نرى المجنون يصرع فى شهر رمضان فقال هكذا جاء الحديث ولا تكلم فى ذلك فان أصل أحمد أن لا يتأول من الأحاديث إلا ما تأوله السلف وما لم يتأوله السلف لا يتأوله وزعمت طائفة أن معنى صفدت الشياطين أن النفس الخبيثة الشريرة مقيدة فى رمضان بالمردة من الإنس ويتعففون عما هم فيه من شرب الخمر والزنا والقتل وغيرها وكذا مردة الجن والشياطين اسم لكل مارد من الإنس والجن والأول أصح . قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هشام بن أبى هشام عن محمد بن محمد بن الأسود عن أبى سلمة

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ أعطيت أمتي خمس خصال لم تعطهن أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادي الصالحين أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك وتصفد فيه مردة الشياطين لا يخلصوا فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ويغفر لهم في آخر ليلة قيل يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله اسناده حسن وفيه أن تصفيد الشياطين في شهر رمضان من خصائص هذه الأمة . قال الشيخ تقي الدين تفتيح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين إذا دخل رمضان إنما هو للمسلمين الذين يصومون رمضان لا للكفار الذين لا يرون له حرمة قوله ﷺ وذلك في كل ليلة هل يعود إلى العتقاء والنداء أو إلى العتقاء فقط ظاهر اللفظ العود إليهما. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن هشام عن قتادة عن خويلد العصري عن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ولا طلعت شمس إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعون أهل الأرض إلا الثقلين اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا . وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن عطاء بن السائب عن عرفجة عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه ذكر رمضان فقال تفتح أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر حتى ينقضي رمضان .

(الفصل الثامن عشر)

في حضور الشيطان عند النبي ﷺ وفراره من عمر رضي الله عنه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال استأذن عمر على النبي ﷺ

وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر رضى الله عنه قمن يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر أضحك الله سنك يارسول الله بأبى وأمى أنت ما أضحكك قال عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب قال عمر فأنت يارسول الله أحق أن يهبن ثم قال عمر أى عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ قلن نعم أنت أفظ وأغلظ قال فقال رسول الله ﷺ إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك متفق على معناه وفى مسلم من حديث أبى هريرة نحوه الفج الطريق * وعن بريدة أن أمة سوداء أتت النبى ﷺ وقد رجع من بعض مغازيه فقالت إنى كنت نذرت إن ردك الله صالحا أن أضرب عليك بالدف قال إن كنت فعلتى فافعلى وإن كنت لم تفعلى فلا تفعلى فضربت فدخل أبو بكر وهى تضرب ودخل غيره وهى تضرب ثم دخل عمر فجعلت دفها خلفها وهى مقنعة فقال رسول الله ﷺ إن الشيطان ليفر منك ياعمر أنا جالس ههنا ودخل هؤلاء فلما دخلت فعلت ما فعلت رواه الإمام أحمد والترمذى ولفظه إنى كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى فقال إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا فقالت نذرت فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل على وهى تضرب ثم دخل عثمان وهى تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت أليتها وقعدت عليه فقال رسول الله ﷺ إن الشيطان يخاف منك ياعمر إنى كنت جالسا وهى تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عثمان وهى تضرب ثم دخل على وهى تضرب فلما دخلت أنت ياعمر ألقت الدف وجلست عليه قال الترمذى حديث حسن صحيح غريب وقال سالم ابن عبد الله أبطأ خبر عمر على أبى موسى فأتى امرأة فى بطنها شيطان فسألها عنه فقالت حتى يجىء شيطانى فجاء فسألته عنه فقال تركته مؤتزراً بكساء يهنا إبل الصدقة وذاك

رجل لا يراه شيطان إلاخر لمنخريه الملك بين عينيه وروح القدس ينطق على لسانه رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان * قال الكلاباذى فى كتاب بحر الفوائد يجوز أن يكون الشيطان كان يخاف عمر ولا يخاف النبي ﷺ لأنه لو خافه لم يجد خوفه منه وهيبته له من أحد وجهين إما خوف إجلال وتعظيم وهو فضيلة والشيطان أبعد شيء من الفضائل والثانى خوف عقوبة يحلها به والنبي ﷺ لم يكن يعاجل بالعقوبة استخفافاً به وقلة مبالاة إذ لم يكن النبي ﷺ يخاف فتنته ولا يهاب وسوسته فلم يهبه اغتراراً به وأمنا من مكر الله تعالى وأما عمر رضى الله عنه فإن كان يخاف الشيطان أن يفتنه ويوسوس إليه فكان يناصبه فكان يترك فجه وسبيله حذراً منه وأما النبى ﷺ فكان لا يبالى استخفافاً به واستصغاراً له فانه ليس بشيء عنده وقد قال أبو حازم وما الشيطان حتى يهاب فو الله لقد أطيع فما نفع وعصى فما ضر وكان الشيطان يتمثل لعامر بن قيس فى صورة حية فى موضع سجوده فكان إذا سجد نحاه ويقول والله لولا نجاستك لم أزل أسجد عليك .

(قلت) وقد يقال فى توجيه ذلك إن رسالة النبى ﷺ شاملة لكل مكلف من الجن والإنس والشياطين فكان حضوره عند النبى ﷺ واستماعه أبلغ وأشق عليه واستماعهم للنبى ﷺ من كماله وشمول دعوته وفرار الشيطان من عمر فضيلة له والنبى ﷺ لم يكن له ثلاثة خواطر إلهى وخاطر ملكى ونفسى ليميزه الله سبحانه بالعصمة ولسائر المؤمنين أربع خواطر الرابع خاطر شيطانى .

وقيل لإبليس ما حالك مع الشيخ أبى مدين فقال ما شبهت نفسى فيما يلقى إليه إلا بمخص بال فى البحر المحيط فقيل له لم تبول فيه قال حتى أنجسه فلا تقع به الطهارة فهل رأيتم أجهل من هذا الشيخ بأحكام الله وقد تقدم خبر عبد الرحمن ابن حبيش ؛ وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال قام النبى ﷺ

يصلى وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى فما زلت أخنقه حتى وجدت بردلعابه بين أصبعى هاتين الأبهام والتى تليها ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا فى سارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل رواه الحافظ ضياء الدين وهو حديث حسن وفى الصحيحين معناه . وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن عفريتا من الجـــن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة وإن الله أمكننى منه فذعته وذكره قال فرددته رواه البخارى ورواه مسلم ولفظه يفتك والفتك الأخذ فى غفلة وخديعة قوله فذعته هو بذال معجمة وتخفيف العين المهملة أى خنقته ورواه ابن أبى شيبة بدال مهملة أى دفعته دفعا شديداً وأنكر الخطابى المهملة وقال لا تصح وصححها غيره . قال ابن الجوزى فى كشف المشكل.

(فإن قيل) كيف دنا من النبى ﷺ وهو يفر من ظل عمر (قلنا) كان يعلم من النبى ﷺ الحلم والصفح ومن عمر الغلظة والشدة وطمع فى جانب الحلم ثم أنه أستقيل فى أذى الرئيس ولم يزل يستقيل فى أذى غيره انتهى . وقد قال لعمر رضى الله عنه لما دخل عليه وعنده جوارى يضربن بالدف فأسكتهن لدخوله وقال إن هذا رجل لا يحب الباطل فكل لذة لا توجب لذة فى الآخرة وتمنع لذة الآخرة فهى لذة باطلة ولا منفعة لها ولا مضرة وزينتها تسر وتشغل عما هو خير منها فى الآخرة واللهو فيه لذة وقد يكره لأنه يصد عن فعل القربة والنفوس الضعيفة والصبيان قد لا تشتغل عن ترك اللغو بما يكون خيرا منه بل قد تشتغل بما هو شر منه أو تتألم بتركه فيكون تمكينها من ذلك احسانا إليها وصدقة عليها كالمعاة وأسقامها فلهذا أمكنهم رسول الله ﷺ من عمل هـذا الباطل بحضرته احساناً اليهن ورحمة بهن وكان ذلك فى حقه مـن الحق المستحب المأمور به وإن كان فى حقهن من الباطل كما كان أعطاؤه المؤلفة قلوبهم مأموراً به فى حقه ورفقاً بهم فالنبى ﷺ يبذل

أنواعا للنفوس من الأموال والمنافع ما يتألفها به على الحق المأمور به ويكون المبذول مما يلتزمه الآخذ ويحبه لأن ذلك وسيلة إلى غيره ولا يفعل ذلك مع من لا يحتاج إلى ذلك كالمهاجرين والأنصار بل يبذل أنواعا أخر من الإحسان والمنافع وعمر رضى الله عنه لا يحب هذا الباطل ولا يحب سماعه وليس هو مأموراً إذ ذاك من التألف بما أمر به النبى ﷺ حتى يصبر نفسه على سماعه فكان أعراض عمر عن الباطل كاملا فى حقه وحال النبى ﷺ أكمل ومحبة النفوس للباطل نقص .

(فصل) قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته المشهور فى كتب التفسير أن النبى ﷺ قرأ والنجم إذا هوى فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى فقال تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى .

(قال أهل العلم) هذا السبب لم يصح وقد تكلم القاضى عياض فى الشفاء فى ذلك وقال البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ باسناد متصل . قال ابن عطية مذهب أهل الحديث أن الشيطان ألقى ولا يعتون هذا الاعتبار ولا غيره . قال ولا خفاء أن القاء الشيطان إنما هي ألفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة ثم اختلف الناس فى صورة هذا الإلقاء والذى فى التفسير أنه ﷺ تكلم بذلك على لسانه قال العلماء والمتكلمون هذا لا يجوز للعصمة إنتهى .

(وفى الصحيحين) عن ابن عباس أن النبى ﷺ سجد في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس رواه البخارى قال كثير من العلماء منهم ابن الجوزى إنما سجد المشركون معه لأنهم سمعوا تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى ففرحوا ووافقوه فى السجود . وقد ذكرت فى التفسير أن شيطانا تكلم بذلك فسمعوه إما من الإنس وإما من الجن

لأنهم كانوا إذا قرأ النبى ﷺ لغوا كما وصفهم الله عز وجل بقوله وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فلما سمعوا هـــذه السورة قال بعض هذه الكلمات على وزنها فظنوا أنه صلى الله عليه وسلم قالها وإنما قيلت فى ضمن تلاوته وأما أن يكون ذا جرى على لسان الرسول المعصوم فمحال فلا يغتر بما فى التفاسير أنه جرى على لسانه ولو جاز هذا لاختلط الحق بالباطل ولا يقال لعل هذا مما ألقاه الشيطان لأن الله تعالى قـد عصم نبيه وبين كيفية حفظ الوحى من الشيطان قال تعالى فانه يسلك من يديه ومن خلفه رصدا فالمعنى انه يحرس الوحى عند تلاوة الملك له على الرسول ﷺ من استراق الشياطين لئلا يسبقونه إلى الكاهن فيتكلم به قبل الرسول وهذه العصمة تنافى صحة ما ادعى مما أنكرناه وقد ذهب إلى ما قلنا كبار العلماء منهم أبو الحسين بن المنادى وأبو جعفر النحاس وابن عقيل فى خلق كثير من المحققين وفى الجملة كلام الناس فى صورة هـذا الإلقاء يدور على وجوه أحدها ان النبى ﷺ قال ذلك قال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية فى الرد له على الرافضى : المشهور عند السلف والخلف أن ذلك جرى على لسانه ثم نسخه الله انتهى كلامه وهذا قول باطل عند عامة العلماء من المحدثين والفقهاء والمتكلمين من جميع الطوائف قالوا ومن المحال أن يجرى هـذا على لسان النبى ﷺ لدلائل عصمته الثانى قال قتادة ومقاتل أنه ﷺ أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على المعصوم مثله فى حال من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه فى نوم ولا يقظة الثالث أن الشيطان نطق بلفظ أسمع الكفار عند قراءة النبى ﷺ أفرأيتم اللات والعزى وقرب صوته من صوت النبى ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين وقالوا محمد قرأها وهذا هـــو الجواب المشهور عند المحدثين والفقهاء كأبى الحسن بن المنادى وابن عقيل والقاضى أبى بكر وإمام الحرمـــين والقاضى عياض وغيرهم . وقال الإمام فخر الدين الرازى الصحيح عند أهل الحق أن الشيطان لا يقدر على القاء

الباطل فى أثناء الوحى وكان صديق الملك سام بن محمد يقول من جوز هذا وقال القاء الشيطان فى أثناء الوحى فى سورة النجم فقوله باطل من وجهين أحدهما أن النبى ﷺ قال من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى فاذا لم يقدر الشيطان على أن يتمثل بصورة الرسول فكيف يقدر على التشبه بجبريل حال اشتغاله بتبليغ الوحى الثانى أن النبى ﷺ قال ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر فاذا لم يقدر الشيطان على أن يحضر مع عمر فكيف يقدر أن يحضر مع جبريل فى موضع تبليغ وحى الله عز وجل الرابع أن الملقى شيطان الإنس لقوله تعالى حكاية عنهم والغوا فيه الخامس أن التمنى قد يراد به القراءة كما قاله الأكثر وقد يراد به حديث وهو المراد هنا ومعنى الآية إلا إذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه وروى عن ابن عباس قال النحاس هذا أحسن ما قيل فى الآية وأعلاه وأجله السادس أن الإلقاء فى قلوب الكفار عند قراءة النبى ﷺ قاله سليمان بن حرب شيخ البخارى فجعل فى معنى هذا كقوله تعالى ولبثت فينا من عمرك سنين وقال شيخ الإسلام تقى الدين القاء الشيطان قد يكون فى لفظ المبلغ وقد يكون فى سمع المبلغ وقد يكون فى فهمه .

(الفصل التاسع عشر)

(فى كلام الأنبياء عليهم السلام وغيرهم للشياطين)

قال أبو العالية لما رست السفينة رأى نوح عليه السلام إبليس على الكوثر فقال له نوح أهلكت الناس غرقوا من أجلك قال فما تأمرنى قال تتوب قال وهل لى من توبة أدع ربك فدعا نوح ربه فأوحى الله إليه أن توبته أن يسجد لقبر آدم فقال له نوح عليه السلام قد جعلت لك توبة قال وما هى قال تسجد لقبر آدم قال أنا لم أسجد له حيا فكيف أسجد له ميتا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب مكائد الشيطان . وله عن ابن عمر قال لقى موسى عليه السلام ابليس

فقال يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما أذنبت وأنا أريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربك أن يتوب على قال موسى نعم فدعا موسى ربه فقال الله له قد قضيت حاجتك فلقى موسى عليه السلام ابليس لعنه الله فقال قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك فاستكبر وغضب وقال أنا لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى أن لك على حقا بما شفعت لى عند ربى فاذكرنى عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرنى حين تغضب فان وجهى فى وجهك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فانى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره أهله وزوجته وولده حتى يولى وإياك أن تجالس أمرأة ليست بذات لمحرم فانى رسولها إليك ورسولك إليها . وذكر أهل التاريخ أن ابليس قال لنوح عليه السلام حين عرض عليه التوبة تنصحنى قال أنصحك قال إن عندى اثنين وأن شئت أربعا فأوحى إليه أن سله عن ثنتين ولا تسأله عن أربع فسأله فقال ليس هذا من عندك لا تحسد الناس فان الحسد منعنى أن أسجد لآدم فصرت بهذه الحال وإياك والحرص فان الحرص هو الذى حمل آدم على أن أكل من الشجرة وأخرج من الجنة ولقى عيسى بن مريم عليه السلام إبليس لعنه الله فقال له أسألك بالحى القيوم الذى جعل عليك اللعنة ما الذى يسل جسمك ويقطع ظهرك فضرب بنفسه الأرض ثم قام فقال لولا أنك سألتنى بالحى القيوم ما أخبرتك أما الذى يقطع ظهرى فصلاة الرجل فى بيته نافلة وفى الجماعة وأما الذى يسل جسمى فصهيل الفرس فى سبيل الله عز وجل . وقال ابن عدى حدثنا عبدالمؤمن بن أحمد حدثنا منقذ بن الحكم حدثنا ابن لهيعة عن أبيه عن أبى الزبير عن جابر قال كانت جنية تأتى فى نساء منهم النبى صلى الله عليه وسلم فأبطأت عليه فأتت فقال ما أبطأك قالت مات لنا ميت بالهند فذهبت فى تعزيته ورأيت ق طريق ابليس يصلى على صخرة فقلت ما حملك على أن أضللت آدم قال دعى هذا عنك قلت تصلى وأنت أنت قال يا فارغة إنى لأرجو من ربى إذا أبر

قسمه أن يغفر لى فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك ذلك اليوم هذا حديث غريب قال ابن الجوزى هذا حديث محال وابن لهيعة لا يوثق به . قال مكحول أبو عثمان كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه إبليس فقال لعيسى عليه السلام أأنت تؤمن بالقضاء والقدر قال عيسى عليه السلام نعم قال فالق نفسك من شاهق فلا يصيبك إلا ما قدر لك فقال له عيسى عليه السلام الرب يبتلى عبده ويختبره وليس للعبد أن يختبر ربه رواه ابن أبى الدنيا وعن طاووس نحوه . وعن ابن عباس أن الشيطان لقى عيسى عليه السلام على عتبة بيته المقدس قال يا ملعون أخبرنى ما الذى صنعت بأمة موسى قال سولت لهم اليهودية قال ما تصنع بأمتى قال آمرهم أن يتخذوك إلها قال ما تصنع بأمة محمد قال هيهات لا سبيل لى عليهم ولكن أحبب إليهم الدنانير والدراهم حتى تكون عندهم أشهى من قول لا إله إلا الله قال وهب بن منبه لما ضربت الدراهم والدنانير حمله إبليس فقبله وقال سلاحى وقرة عينى وقرة قلبى بكما أغوى وبكما أطغى بكما أكفر بنى آدم بكما يستوجب ابن آدم حبى قال وهب بن منبه فالويل ثم الويل لمن آثرهما على طاعة الله . قال مجاهد لما كبر اليسع عليه السلام قال لو أنى استخلفت رجلا من الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يقبل لى بثلاث استخلفه يصوم النهار يقوم والليل ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال أنا قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم الرجل فقال دعونى وإياه فأتاه فى صورة فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك القائلة فذكر انه اشتكى إليه من قوم ظلموه فقال إذا رجعت ائتنى آخذلك بحقك فلم يجىء إليه ثم جاء وقت القائلة قال قال لم لاجئت قال إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك وإذا نمت جحدونى فمنعه النوم فدخل عليه مرة أخرى من كوة فى البيت فقال له أعدو الله فقال نعم أعييتنى فى كل شىء ففعلت ما تراه لأغضبك فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به .

عن ابن عمر قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ فجاء رجل من أقبح الناس وجها وأقبحهم ثيابا وأنتن الناس ريحا والناس حلق حلق فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يدى النبي ﷺ فقال من خلقك فقال النبى ﷺ الله قال فمن خلق السماء قال الله قال فمن خلق الأرض قال الله قال فمن خلق الله فقال النبى ﷺ سبحان الله وأمسك لحيته وطأطأ رأسه وقام الرجل فذهب فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال على بالرجل فطلبناه فكأن لم يكن فقال رسول الله ﷺ هذا إبليس جاءكم ليشككم فى دينكم رواه البيهقى فى دلائل النبوة * قال الجنيد بن محمد رأيت إبليس يمشى فى السوق عريانا وبيده كسرة خبز يأكل فقلت له ويحك تمشى فى السوق عريانا ولا تستحى من الناس فقال ياأبا موسى وهل بقى أحد على وجه الأرض يستحى منه من كان يستحى منهم تحت التراب أكلهم الثرى ذكره ابن جهضم . وقد خنق النبى ﷺ إبليس فى الصلاة حتى سال برد لعابه على يده . قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا سبرة بن معبد حدثنا أبو عبيد صاحب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثى قائما يصلى فذهبت أمر بين يديه فردنى ثم قال حدثنى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين الابهام والتى تليها ولولا دعوة أخى سليمان أصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل . قال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية رسول الله ﷺ لم يكن مستخدم الجن لكن دعاهم إلى الايمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل الانس والذى أوتيه النبى ﷺ أعظم مما أوتيه سليمان فانه استعمل الجن والانس فى عبادة الله وحده وسعادتهم فى الدنيا والآخرة لا لغرض يرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله وطلب رضاه واختار أن يكون

عبداً رسولا وقد سبق خبر أبى هريرة لما وكله رسول الله ﷺ بحفظ الزكاة فجاءه الشيطان وعلمه آية الكرسى . وعن الفضيل بن عياض قال جاء إبليس وموسى يناجى ربه فوقف قريبا منه فقال له بعض الملائكة يا ملعون ما الذى ترجو منه فى هذا الوقت فقال ما رجوت من أبيه آدم فلهذا قال رب أرنى أنظر إليك ليزول الوسواس . قال وهب بن منبه بلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيي بن زكريا فقال له إنى أريد أن أنصحك فقال كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا على ثلاثة أصناف أما صنف منهم أشد الأصناف علينا تقبل على أحدهم حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركناه منه ثم نعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك وأما الصنف الآخير فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فقال له يحيي عليه السلام هل قدرت منى على شيء قال لا ألا مرة واحدة فانك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها فقال يحيى لا جرم لا شبعت طعاماً أبدا حتى أموت فقال له الخبيث لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك أبدا .قال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية فى الفرقان الكبير قد يأتى الجنى إلى من هو فى البرية ملكا أو أميراً وقد يكون كافرا قد انقطع وعطش وخاف الموت فأتيه فى صورة أنسى ويسقيه ويدعوه إلى الاسلام فيسلم ويطعمه ويقول له من أنت فيقول أنا فلان كما جرى مثل هذا لى فى القلعة كنت فى قلعة وجرى مثل هذا لأمير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الأمير أنى أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين رسولا إلى مصر وأنا فى الجب فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الجب ولكن كان هنا جنيا وهو يحبنا

فصنع بالترك كثيراً مثل ما كنت أصنع لهم لما جاؤا إلى دمشق كنت أدعوهم إلى الإسلام فإذا نطق أحدهم الشهادتين أطعمتهم ما تيسر فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامى قال لى طائفة من الناس فلم لا يجوز أن يكون ملكا قلت لا لأن الملك لا يكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب فى ذلك انتهى وذكر ابن أبى الدنيا أن عبد الله بن حنظلة ابن الغسيل لقيه الشيطان وهو خارج من المسجد فقال تعرفنى يا ابن حنظلة فقال نعم قال من أنا قال أنت الشيطان قال كيف علمت ذاك قال خرجت وأنا أذكر الله فلما رأيتك تلهيت جعلت أنظر إليك فشغلنى النظر إليك عن ذكر الله فعلمت أنك الشيطان قال صدقت فاحفظ عنى شيئاً أعلمك قال لا حاجة لى به قال تنظر فإن كان خيراً قبلت وإن كان شرا رددت لا تسأل أحداً غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت وذكر أيضاً أن إبليس قال يا رب اعفنى من السجود لآدم أعبدك عبادة ما عبدكها أحد من حلقك قال فأوحى الله إليها إنما أطاع من حيث عصيت . وذكر أيضاً عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضى الله عنها أنها قالت بينما أنا فى مجلسى إذ انشق سقفى فهبط على منه أسود مثل الجمل لم أر مثل سواده قالت فدنا منى يريدنى قالت وتبعته صحيفة فإذا فيها من رب عكب إلى عكب أما بعد فلا سبيل لك على المرأة الصالحة بنت الصالحين قالت فخرج من حيث جاء وأنا أنظر إليه وكانت الصحيفة عندها . وقال ابن أبى الدنيا حدثنا اسحق ابن اسمعيل حدثنا وهب بن جرير أنا أبى عن الحسن عن عمار بن ياسر قال قاتلت مع النبى ﷺ الجن والانس قيل فكيف قاتلت الجن قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فنزلنا منزلا فأخذت قربتى ودلوى لا ستقى من الماء فقال رسول الله ﷺ إنه سيأتيك على الماء آت يمنعك منه فلما كنت على رأس البئر إذ جاء رجل أسود فقال والله لا تستقى منها اليوم ذنوبا واحداً فأخذنى فأخذته فصرعته وأخذت حجراً فكسرت به وجهه وأنفه ثم ملأت قربتى

فأتيت رسول الله ﷺ فقال هل أتاك على الماء أحد قلت نعم فقصصت عليه القصة قال أتدرى من هو قلت لا قال ذاك الشيطان (قال أبو سعيد الخراز) رأيت ابليس فى منامى وبيدى عصا فرفعتها حتى أضرب فقال لى قائل هذا لا ينزع من العصا قلت من أى شىء قال من نور يكون فى القب وقال أبو سعيد أيضا رأيت إبليس فى النوم على وسطه منطقة ملوية وهو يفر من خلفنا فقلت تعال فقال إيش أعمل عندكم أنا أخدع الناس بالدنيا وأنتم قد تركتم الدنيا فر قليلا ثم رجع فقال لى فيكم لطيفة فقلت إيش هو فقال صحبة الأحداث ثم قال أبو سعيد ما أقل من سلم منهم (قال إبراهيم الموصلى) استأذنت الرشيد أن أتأخر عنه كل أسبوع يوما فأذن لى أن أنفرد يوم السبت فبينما أنا فى دارى وحشمى وخدمى إذ أنا بشيخ ذى هيئة وجمال وبيده عكاز مقممة بفضة فدخلنى منه هيبة ووحشة فسلم أحسن سلام فرددت عليه وأذنته بالجلوس فجلس ثم أخذ فى أحاديث الناس وأيام العرب حتى زال الغضب فقلت أحب غلمانى أن يسرونى بهذا الشيخ فقلت لك فى الطعام قال إنى أعاف قلت الشراب قال نعم فشربت وشرب فقال يا أبا اسحق هل لك أن تغنينى ما قدم لك عند الخاص والعام فخجلت فأخذت العود وتغنيت فقال أحسنت يا إبراهيم ثم قال هل لك أن تعيده فلم أجد إلى رده سبيلا فأخذت العود وتغنيت فقال أجدت يا أبا اسحق ثم تغنيت فقال أحسنت ياسيدى ويا بقية عودى ثم قال أتأذن لعبدك فى جسه قلت نعم فدعاه فإذا هو فى حجره .

ولى كبد مقروحة من يبيعنى ... بها كبداً ليست بذات قروح

أباهـا على الناس لا يشترونها ... ومن يشترى ذا علة بصحيح

قال إبراهيم فجاوبته الأبواب ثم قال يا إبراهيم تعلم ثم غاب عنى فوثبت كالمجنون افتش فأتيت النساء فقلت لهم رأيتم الشيخ قالوا نعم رأيناه عندك

وسمعنا غناءه فبينما أنا كذلك إذ سمعت هاتفا يقول كان نديمك اليوم أبو مره يا أبا اسحق فقلت لأطرفن أمير المؤمنين بذلك فأخبرت الرشيد (قال بعض السلف دليل هـــذا قوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم).

(الفصل العشرون مم خلق الشيطان وافتختاره بأصله)

عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج مـــن نار وخلق آدم مما وصف لكم رواه مسلم * وقال تعالى حكاية عن إبليس أنه قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقد اختلف العلماء فى إبليس هل كان من الملائكة أم لا على قولين أحدهما أنه كان من الملائكة قال ابن مسعود وسعيد بن المسيب واختاره الشيخ موفق الدين والشيخ أبو الحسن الأشعرى وأئمة المالكية وابن جرير الطبرى قال البغوى هذا قول أكثر المفسرين لأنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم * قال تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس فلولا أنه من الملائكة لما توجه الأمر بالسجود ولو لم يتوجه إليه الأمر بالسجود لم يكن عاصيا ولما استحق اللعنة والخزى والنكال والقول الثانى أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قاله ابن عباس فى رواية والحسن وقتاده واختاره الزمخشرى وأبو البقاء العكبرى والكواشى فى تفسيره لقوله تعالى إلى إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الانس ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من نور ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة (قال فى الكشاف) إنما تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة لأن إبليس كان فى صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجنى الذى معهم أجدر بأن يتواضع (وروى) عكرمة عن ابن عباس قال أبو الجن اسمه سوما فقال الله له تمن فقال أتمنى أن أرى فلا أرى وأن نغيب فى الثرى وأن يصير كهلنا شابا فأعطى ذلك فان الدهر يمر على إبليس فيهرمه ثم يصبح وهو ابن ثلاثين

سنة وقد قيل إن الجان مسخ الجن كما أن القردة والخنازير مسخ الانس وجاء ذلك عن ابن عباس بسند لا بأس به والقول الأول هو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء وصححه البغوى وأجابوا عن قوله تعالى إلا ابليس كان من الجن أى من الملائكة الذين هم خزنة الجنة قال سعيد بن جبير من الذين يعملون فى الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلى أهل الجنة (وروى) الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحى وخلق الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار (قال بن القيم) الصواب التفصيل فى هذه المسئلة وأن القولين فى الحقيقة قول واحد فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله كان أصله من نار وأصل الملائكة من نور فالنافى كونه من الملائكة والمثبت لم يتواردا على محل واحد وكذلك قال شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية فى الفتاوى المصرية وقيل إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنا لا ستتارهم عن الأعين فابليس كان منهم والدليل على ذلك قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وهو قولهم الملائكة بنات الله ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية سئل الشعبى هل لإبليس زوجة قال فقلت إن ذلك عرس لم أشهده قال ثم قرأت هذه الآية فعلمت أنه لا يكون له ذرية إلا من زوجة فقلت نعم وقال قوم ليس له ذرية ولا أولاد وذريته أعوانه من الشياطين . وخرج البرقانى من حديث أبى عثمان عن سلمان الفارسى عن النبى ﷺ قال لا تكن أول من يدخل السوق وآخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ قال بعض الأئمة اسناده صحيح وهذا يدل على أن له ذرية من صلبه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان ابليس من أشراف الملائكة ومن أكرمهم قبيلة وان من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن فكان منهم وكان له سلطان فى السماء وكان له سلطان فى الأرض وكان يوسوس مابين السماء والأرض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما .

(فصل) فى قول الله سبحانه حكاية عن إبليس قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين تتضمن أمرين أحدهما افتخاره بأصله على آدم عليه السلام والثانى أنه أول من عارض أمر الله بعقله فعارض السمع بالعقل فعارض الشرع بالعقل فهو ميراث عن الشيخ أبى مرة فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلى مركب من مقدمتين أنا خير منه وخير المخلوقين لا يسجد لمن هو دونه أنتج لا ينبغى أن يسجد له وهذ من الشكل الأول وقياس آخر هكذا خلقتنى من نار وخلقته من طين والمخلوق من النار خير من المخلوق من الطين وأنتج هذا أنا خير منه رفى بنى آدم من صوب رأى ابليس وقياسه فكان على هذا المذهب بشار بن برد الأعمى وأنشد فى قصيدته الرائية .

الأرض مظلمة سواد مقتمة ... والنار معبودة مذ كانت النار
إبليس خير من أبيكم آدم ... فتنبهوا يا معشر الفجار
إبليس من نار وآدم طينة ... والأرض لا تسمو سمو النار

وكان بشار هذا يمدح الخليفة المهدى حتى وشى إليه الوزير أنه هجاه وقذفه ونسبه إلى شىء من الزندقة أنه يقول بتفضيل النار على التراب وعذر إبليس بترك السجود لآدم فأنشد الأرض مظلمة فأمر المهدى بضربة فضرب حتى مات ويقال أنه غرق فابليس لعنه الله بتلك النخوة والكبر ليرضى أن يصير قوادا لكل عاص كما قال :

عجبت من إبليس فى تمرده ... وقبح ما أظهر من نخوته
تاه على آدم فى سجدة ... وصار قواداً لذريته

ومن شره أيضاً أنه لص سارق لأموال الناس فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف وكذلك يبيت فى البيت إذا لم يذكر فيه اسم الله فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ويبيت فى بيوتهم

بغير إذنهم ويدخل سارقا ويخرج مغيراً ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقى فى قلوب الناس يقظة ومناما أنه فعل كذا وكذا ومن هذا يعمل العبد الذنب لا يطلع عليه أحد فيصبح والناس يتحدثون به وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه فى قلبه ثم وسوس إلى الناس بما فعل فألقاه فى الذنب ثم فضحه به فالرب يستره والشيطان يفضحه وقل من يفطن لهذه الدقيقة وبشار بن برد الأعمى كان على مذهب الكاملية أتباع أبى كامل وهو الذى زعم أن الصحابة كفرت بأجمعها بتركها بيعة على وكفر على بتركة قتالهم وكان بشار يقول ذلك فجمع بين مقالتين خبيثتين هذه وتصويبه لإبليس فى تفضيله النار على الأرض وقد رد عليه صفوان الأنصارى فى قصيدة له يقول فيها .

زعمت بأن النار أكرم عنصرا ... وفى الأرض تحيى بالحجارة والزند
ويخلق فى أرجائها وأرومها ... أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
وفى تلك الأجبال خلق معظم ... زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد
من الذهب الإبريز والفضة التى ... تروق وتضى ذا القناعة والزهد
وكل مزمن نحاس وأنك ... ومن زيبق حر ونوشادر سندى
وفيها ضروب القار والشب والمها ... وأصناف كبريت مطاولة الرفد
وكل مواقيت الأنام وجلها ... من الأرض والأحجار فاخرة المجد
وفيها مقام الركن والحل والصفا ... ومستلم الحجاج من جنة الخلد
أتهجو أبا بكر وتخلع بعده ... عليا وتعزو كل ذاك إلى برد
كأنك غضبان على الدين كله ... وطالب ذحل لا تبيت على حقد
تواثب أقمارا وأنت مشوه ... وأقرب خلق الله من شبهة القرد

ثم أن حمادا أخذ عجز هذا البيت فقال فى بشار قصيدته الدالية التى يقول فيها وما أقبح من قرد إذا عمى القرد :

والله ما الخنزير فى قبحه من ربعة بن قيس أو خشمه
بل وجهه أحسن من وجهه ونفسه أكرم من نفسه

فكل من كان على دين الكاملية فكره كامل ومن صوب إبليس فى استكباره فهو منه أكفر كذا كان أحمد الغزالى أخو الشيخ أبى حامد الغزالى المشهور صاحب التصانيف كان أحمد المذكور يتعصب لابليس ويعذره حتى قال يوما لم يدر ذلك المسكين أن أظافير القضاء إذا حلت أدمت وقسى القدر إذا رمت أصمت .

وكنا وليلى فى صعود من الهوى فلما توافينا ثبتت وذلت

ذكر ذلك أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم وهذا القياس لابليس باطل من وجوه أحدها أنه قياس فى مقابلة النص الثانى قوله أنا خير منه كذب ومستند باطل فانه لا يلزم من تفضيل مادة على مادة تفضيل المخلوق منها على المخلوق من الأخرى فان من كمال قدرة الله سبحانه أن يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها ومحمد وإبراهيم وموسى عليهم السلام أفضل من الملائكة ومذهب أهل السنة أن صالح البشر أفضل من الملائكة وإن كانت مادتهم نورا ومادة البشر ترابا والتفضيل ليس بالمواد والأصول ولهذا كان العبيد والموالى الذين آمنوا بالله ورسوله أفضل عند الله ممن ليس مثلهم من قريش وبنى هاشم وهذه المعارضة الابليسية صارت ميراثاً فى أتباعه فى التقديم بالأصول والانساب على الايمان والتقوى كما قال بعضهم .

لعمرك ما الانسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على الحسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

الثالث ظنه أن النار خير من التراب باطل ومستنده ما فيها من الضياء والخفة ومافى التراب من الثقل والظلمة ونسى الشيخ النجس مافى النار من الخفة

والطيش وطلب العلو والافساد بطبع حتى أن شواظا منها لو وقع فى مدينة افسدها والتراب خير من النار وأفضل من وجوه أحدها أن طبعه السكون والرزانة وثانيها أنه مادة الحيوان والنبات والأقوات والنار بخلافه وثالثها أنه لا يمكن أن يعيش برهة من الدهر بلا نار ورابعها أن الأرض تؤدى إليك ببركتها أضعاف ما تودعها من الحب والنوى وتغذيه لك والنار تفسده وخامسا أن الأرض مهبط الوحى ومسكن الرسل والأولياء وكفاتهم أحياء وأمواتا والنار مسكن أعداء الله وسادسها أن فى الأرض بيته محيط الأوزار وتكفير السيآت وجالبا لهم مصالح معاشهم ومعادهم وسابعها أن النار طبعها العلو والفساد والله لا يحب المستكبرين ولا المفسدين والأرض طبعها الخشوع والإخبات ومعلم الخير من الماده الأرضية ومعلم الشر من المادةالنارية وثامنها أن النار لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل تقوم به لا تستغنى عنه فهى محتاجة إلى المادة الترابية فى قوامها وتأثيرها والأرض قائمة بنفسها وتاسعها أن التراب يفسد صورة النار يبطلها ويقهرها وأن علت عليه وعاشرها أن الرحمة تنزل على الأرض فتقبلها وتحيى بها وتخرج زينتها وأقواتها تشكر ربها وتنزل على النار فتأباها وتطفيها فبينها وبين النار معاداة وبين الرحمة والأرض مؤاخاة وحادى عشرها أن النار تطفى بالتكبير فتضمحل عند ذكر الرب ولهذا يهرب المخلوق منها عند الأذان حتى لا يسمعه والأرض تبتهج بذلك وتشهد به لصاحبها يوم القيامة وقد جاء أن الأرض تفتخر بمن يذكر الله عليها وثانى عشرها يكفى من فضل المخلوق من الأرض على المخلوق من النار أن الله سبحانه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شىء فهل حصل للمخلوق من النار واحدة من هذه فقد اطلعت على بحث شيخ القوم ورئيسهم فما الظن بمعارضة التلامذة واعلم أن كل شبهة عارضوا بها الوحى المنزل فعند أئمة السنة ما يبطلها من وجوه كثيرة كما فعل الإمام أحمد فى الرد على الجهمية وعثمان بن سعيد الدرامى وعبد

العزيز المكى وهلم جرا من عالم بعد عالم والحق والباطل فرسا رهان إلى يوم القيامة وقد جرى على الإمام أحمد من تلامذة هـــذا الشيخ أبى مرة وأتباعه من الجاهلين والمعاندين والمعطلين ما جرى على من قام مقامه على ممر السنين وكذلك على الشيخ تقى الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه .

مضوا ومضى ثم التقوا عند ربهم فأخرهم للحكم يوم التحاكم

(ابن رشيق القيروانى)

سألت الأرض لم جعلت مصلى ولم كانت لنا طهرا وطيبـــا

فقالت غير ناطقة لأنى حويت لكل إنسان حبيبا

الفصل الحادى والعشرون

فى تحزين الشيطان لابن آدم فى المنام برؤيا سيئة

وأن من رأى النبى ﷺ فى المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل به) .

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنها من الله تعالى فليحمد الله عليها وليحدث وفى رواية فلا يحدث بها إلا لمن يحب وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فانها لا تضره رواه البخارى وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة من الله تعالى والحلم من الشيطان فمن رأى شيأ يكرهه فليتفل عن شماله ثلاثا وليتعوذ من الشيطان فانها لا تضره متفق عليه وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال إذا رأى أحـدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا رأى أحدكم رؤيا

يكرهها فليتفل ثلاث مرات ثم ليقل اللهم إنى أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الأحلام فإنها لا تكون شيأ قال الطبرى فى حديث إذا رأى ما يكره يتعوذ من الشيطان ومن شر الشيطان وليتفل عن شماله ثلاث مرات وجه انفث عن الشمال ثلاثا إخساء الشيطان كما يتفل على الشى القذر يراه او يذكره ولا أقذر من الشيطان فأمر عليه السلام بالتفل عند ذكره وأما خصوصية الشمال دون اليمين فلعل طريق الشيطان إلى ابن آدم لدعائه ما يكره من قبلها قال الحكيم الترمذى) لأن التفلة واصلة إلى وجه الشيطان فتصير قروحها وكذلك رمى الجمار إنما يرمى رأس الشيطان ومطلعه حيث طلع لآدم ثم للخليل عليهما السلام فبقيت سنة لأن تلك الطلعة كائنة منه لكل مسلم حاج فاذا رمى الحاج شدخ رأسه حتى يجثى وانما أمر بسبع حصيات لأنه أطلع رأسه من سبع أرضين ونفسه موثقة فى سجين وذلك سجنه تحت الأرض السابعة السفلى إلى مستقرة فكذلك التفلة مع تعوذك بالله يرد ما جاء به من الوسوسة كالنار إلى وجهه فيحترق ويصير قروحا وعن الربيع بن خشيم أنه قص عليه رؤيا منكرة وذلك أنه أتاه آت فقال إنى رأيت فى المنام كأن قائلا يقول أخبر الربيع أنه من أهل النار فتفل عن يساره ثلاثا وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فرأى ذلك الرجل فى الليلة الثانية كأن رجلا جاء بكلب فأقامه بين يديه وفى عنقه حبل وفى جبهته قروح فقال هذا ذلك الشيطان الذي أراك فى منامك رؤيا الربيع وهذه القروح تلك التفلات الثلاث التى كانت منه كان عبد الله بن مسعود يجلس الربيع بن خشيم إلى جنبه ويقول مرحباً أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين وقال الشيخ عبد القادر الكيلانى فى فتوح الغيب رأيت إبليس اللعين فى النوم وأنا فى جمع كثير فهممت بقتله فقال لى اللعين لعنه الله لم تقتلنى وما ذنبى أن جرى القلم بالشر فلا أقدر أغيره إلى الخير وإن جرى القلم بالخير فلا أقدر أغيره إلى الشر فأى شىء بيدى وكانت صورته صورة الخنافس لين الكلام مسنون الوجه فيه طاقات شعر فى ذقنه حقير الصورة ذميم الخلقة ثم تبسم فى وجهى

تبسم خجل وجل وحدثنى عمر الوراق المقرى صاحبى قال رأيت إبليس فى النوم وأنا أقرأ القرآن وهو أسود فقال لى أنت من أهل النار قرأت أو لم تقرأ فقال لى بعض المعبرين يريد تحزين ويصده وقال لى إنه رآه مرة أخرى وإنه قال له تظن أن ما قاله هذا الرجل حق قال فرفعت صوتى وقلت كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ثلاث مرات (قلت) وقد رأيته فى المنام وأنا أكتب فى هذا الكتاب رأيته على باب جامع دمشق تحت الساعات وهو قاعد وحوله حلقة مزدحمة فلما جئت تقربت إليه فرفع رأسه وقال لى ما الذى جاء بك إلينا فقلت له جئت لأنكر عليك أو نحو ذلك فطأطأ رأسه ووضعه فى حجره وخنس ويغلب على ظنى أنه لابس زى الفرنج وقد جاء أنه يغتم بنوم المؤمن وهذا أحسن فإذا تحصن منه بالذكر عند النوم عجز عن وسوسته وعن تحزينه فى نومه فيغيظه منامه لأنه إذا استيقظ ربما يتمكن منه بخلاف حالة النوم .

(فصل) وقد خص النبى ﷺ بأن الشيطان لا يتشبه به عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بى . متفقاً عليه .

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى وفى رواية أن يتمثل فى صورتى رواه مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن زكريا عن أبيه عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ من رآنى فى المنام فإنا الذى رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى فاما ما جاء من حديث عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى ومن رأى أبا بكر الصديق فى المنام فقد رآه فان الشيطان لا يتمثل به فانه من رواية أحمد بن الحسن بن أبان المصرى وهو غير ثقة وقال الطبرانى حدثنا اسحق بن إبراهيم بن العربى الغزى بمدينة غزة حدثنا محمد بن أبى السرى

العسقلانى حدثنا عبد الرازق عن معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا من رآنى فى منامه فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى ولا بالكعبة تفرد به ابن أبى السرى وههنا فوائد منها قال الأستاذ أبو اسحق رؤيا المنام إدراك باجزاء لم تحلها آفة النوم قال رأى الرائى أنه بالمشرق وهو بالمغرب أو نحوه فهى أمثلة جعلها الله عز وجل دليلا على تلك المعانى كما جعلت تلك الحروف والأصوات والرقوم والكتابة دليلا على المعانى قال على رضى الله عنه الأرواح يعرج بها فى منامها فما رأت وهى فى السماء هو الحق فاذا أردت إلى أجسادها تلقتها الشياطين فى الهواء وكذبتها فما رأت من ذلك فهو الباطل فاذا رأى النبى ﷺ فهى أمثلة تضرب له بقدر حاله فان كان موحداً رآه حسناً أو ملحدا رآه قبيحا قال صاحب المقاييس قال بعض الأمراء رأيت البارحة النبى ﷺ فى المنام أشد ما يكون من السواد فقلت له ظلمت الخلق وغيرت الدين قال النبى ﷺ الظلم ظلمات يوم القيامة والتغير فيك لا فيه وعنده كاتبه وصهره وولده فاما الكاتب فمات وأما الآخران فنتصرا وأما هو جعل يعتذر ومنها ما تقدم أن المدرك إنما هو المثل وبه يخرج الجواب عن كون النبى ﷺ يرى فى الزمان الواحد فى المكانين فان المرئى فى المكانين مثلان وأما المشكل أن يكون الواحد فى مكانين فى زمان واحد وأجابت الصوفية بأنه عليه السلام كالشمس يرى فى أماكن كثيرة عدة وهى واحدة وهو جواب ضعيف وإنما الجواب أن المرئى مثله ﷺ وكذلك كل مرئى من بحر أو جبل أو آدمى إنما يرى مثالا لاهو وبه يظهر معنى قوله ﷺ من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى والتقدير من رأى مثالى حقاً فان الشيطان لا يتمثل بمثالى وأن الخبر إنما شهد لعصمة المثال عن الشيطان نص الكرمانى فى كتابه تأويل الرؤيا أن الرسل والكتب المنزلة والملائكة والسحب كذلك معصومة عن تمثيل الشيطان بمثلها وماعدا ذلك من المثل يمكن ان يكون حقا ويمكن ان يكون من الشيطان وأنه تمثل بذلك المثال وقال الغزالى للموجود خمس مرات ذاتى كالسماء والأرض

وحسى كدارة النار ومن نقطة متحركة وخيال كتصور الفرس بعد غيبتها وعقلى كالقدرة فانها يد عقلية وشهى فرؤية النبى ﷺ فى المنام من الموجود الحسى وهو ما يتمثل من القوة الباصرة من العين بما لا وجود له خارج العين كما يرى النبى ﷺ فى المنـــام فلا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة إلى موضع النائم بل هو على سبيل وجود صورته فى حس النائم فقط ومنها قال أهل العلم إنما تصح رؤية النبى ﷺ لأحد رجلين أحدهما صحابى رآه يعلم صفته فانه إذا رآه فى المنام جزم بأنه رأى مثله المعصوم من الشيطان وثانيهما رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة فى الكتب حتى انطبعت فى نفسه صفاته ﷺ وأما غير هذين فلا يحصل الجزم بل يجوز أن يكون من تخييل الشيطان ولا يفيده قول المرئى أنا رسول الله ولا قول من يحضر هذا رسول الله لأن الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره فلا يحصل الجزم (فان قيل) يشكل هذا بما قاله أهل التعبير أن الرأى يراه شابا وشيخا وعلى أنواع شتى من المثل التى ليست مثاله ﷺ .

(قلنا) هذه صفات الرائين وأحوالهم تظهر فيه عليه السلام وهو كالمرآة لهم ومنها لو رآه ﷺ فقال إن امرأتك طالق ثلاثا وهو يجزم بأنه لم يطلقها هل تحرم عليه لأن رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقاً تردد فيه المتأخرون من الفقهاء والصواب عدم التحريم لأن أخباره فى اليقظة فى شريعته المعظمة أنها مباحة راجحة على خبر النوم لتطرق الإحتمال للرائى بالغلط فى ضبط المثال والغالب على الرائى عدم الضبط ولذلك لم يرتب العلماء على المنامات شيئا من الأحكام وقد نقل القاضى عياض الإجماع عليه فيما لو رأى النبى ﷺ فقال له غدا من رمضان فصم وعن أبى اسحق الأسفرايني أنه حكى وجهين فى أنه لو رأى النبى ﷺ فامره بأمر هل يجب امتثاله إذا استيقظ على وجهين وقال الحياطى فى فتاويه لو رآه إنسان فسأله عن حكم فافتاه بما يخالف مذهبه وليس مخالفا لنص ولا إجماع فقال فيه وجهان وقال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية

الاسرائيليات والمنامات لا يجوز أن يثبت بها حكم شرعى لا استحباب ولا غيره ولكن يجوز ذكره فى الترغيب والترهيب فيما لو علم حسنة أو قبحه بأدلة الشرع فانه ينفع ولا يضر واعتقاد موجبة قدر ثواب وعقاب يتوقف على الدليل الشرعى ومنها ما جاء عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر عن عمه عن سالم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فأعرض عنى فقلت مالى فقـــال انك تقبل وأنت صائم قال القاضى أبو يعلى الظاهر من حال عمر أن القبلة تحرك شهوته وقال أبو محمد بن خرم عن عمر بن خرم ليس بشىء والشريعة لا تؤخذ بالمنامات والنبى صلى الله عليه وسلم أفتى عمر رضى الله عنه بالاباحة فى اليقظة ومنها قال عبد الله بن أحمد فى المسند حدثنا عثمان بن شبية حدثنا يونس عن أبى اليغفور العبدى عن أبيه عن مسلم بن سعيد مولى عثمان بن عفان أنه أعتق عشرين مملوكا ودعا بسراويل فشدها عليه لم يلبسها فى جاهلية ولا اسلام وقال إنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر وقالوا اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه (ومنها) قال صهيب رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يارسول الله اختلف علينا فى التشهد فقال عليك بتشهد عبد الله بن مسعود رواه الترمذى وغيره وذكره غير واحد من المرجحات لتشهد ابن مسعود على غيره من التشهدات (ومنها) قال القاضى أبو الطيب الطبرى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا فقيه (منها) قال سعيد بن أبى عروبة عن عمر بن عبد العزيز رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر جالسان عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى بن أبى طالب ومعاوية فدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وانظر فما كان باسرع من أن خرج على رضى الله عنه وهو يقول قضى لى ورب الكعبة وما كان باسرع من أن خرج معاوية فى أثره وهو يقول غفر لى ورب الكعبة وقد جاء منام عمر بن عبد العزيز على وجوه متعددة مشهورة

(منها) منام أبى الفضل بن ناصر الحافظ شيخ الجوزى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له عليك بمذهب الشيخ أبى منصور الخياط ترجع بسبب ذلك إلى مذهب أهل السنة وهو منام مشهور طويل وقد ذكره الشيخ موفق الدين فى كتاب التوابين (ومنها) قال لى الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بظاهر مدينته فقلت يا رسول الله أنت قلت أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء قال نعم أنا قلتـــه وقال لى أنه شيئاً إذا قرأة الإنسان عند منامه رأى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يقله لنا بخل بذلك وفاته أجر عظيم ، وقـد جاء مصلاة لرؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فعن ابن عباس يرفعه ما من مؤمن يصلى ليـلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة وخمسا وعشرين مرة قل هو الله أحد ثم يسلم ثم يقول ألف مره اللهم صلى على محمد النبى الأمى فإنة يرانى ليلته فى المنـام وإلا فلا تتم له الجمعة القابلة حتى يرانى فى المنام ومن رآنى غفر الله له الذنوب وهذا الحديث وضع على يعلى بن عبيد عن الأعمش عن أبى صالح عن ابن عباس وقد اتهم به محمد بن محمد بن الأشعث على أن إسناده ظلمات والمتن أشد ظلمة وقد ذكر فى كتاب الفردوس واغتر جماعة ممن يميل إلى التصوف ولا أصل له ، وقرأ سورة الكوثر ألف مرة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة رآنى فى المنام .

وعن الزهرى من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين ويقرأ فيهما قل هو الله أحد ألف مرة رأى النبى ﷺ فى المنام .

قال عامر بن سعيد البجلى لما قتل الحسين رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال إن رأيت البراء بن عازب فاقرئه منى السلام وأخبره أن قتلة الحسين فى النار وإن كان الله أن يسخب أهل الأرض منهم بعذاب أليم قال فأخبرت البراء فقال صدق رسول الله ﷺ قال ﷺ من رآنى من المنام فقد رآنى فان

الشيطان لا يتصور بى رواه الحافظ الضياء فى المختارة ، قال الحسن البصرى رأيت النبى ﷺ فى منامى فقال لى من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شراً من أمسه فهـو ملعون ، عن أبى عياش الزرقى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير كان له عدل رقبة من ولد اسمعيل وكتبت له عشر حسنات وحط عنه عشر سيأت ورفع له عشر درجات وكان فى حرز من الشيطان حتى يمسى وأن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح فرأى رجل النبى ﷺ فقال يا رسول الله إن أبا عياش يحدث عنك بكذا وكـذا فقال صدق أبو عياش رواه أبو داود وغيره من أهل السنن (ومنها) عن خزيمة بن ثابت أنه رأى فى منامه أنه يقبل النبى ﷺ فأخبره بذلك فناوله النبى ﷺ فقبل جبهته رواه الإمام أحمد فى المسند ، وفى رواية له أنه رأى فى المنام أنه يسجد على جبهة النبى ﷺ فأتى خزيمة النبى ﷺ فحدثه فاضطجع رسول الله ﷺ ثم قال له صدق رؤياك فسجد على جبهته ﷺ (ومنها) قال عبد الرحمن بن أبى حاتم بلغنى أن بشر بن الحـــرث الحافى قال رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى يا بشر تـدرى لم رفعك الله على أقرانك قلت لا يارسول الله قال باتباعك لسنتى وخدمتك للصالحين ونصيحتك لأخوانك ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى هو الذى بلغك منازل الأبرار (ومنها) قال الربيع قال لى الشافعى خـــذ كتابى وأمض به إلى أحمد بن حنبل وأتنى بالجواب قال الربيع فدخلت بغداد فلقيت أحمد بن حنبل صلاة الصبح فصليت معه الفجر فلما انتقل من المحراب سلمت إليه الـكتاب وقلت هذا كتاب أخيك الشافعى من مصر فقال أحمد نظرت فيه قلت لا فكسر الخاتم وقرأ الـكتاب فتغرغرت عيناه بالدموع فقلت له إيش فيه يا أبا عبد الله فقال يذكر أنه رأى النبى ﷺ فى المنام فقال له أكـتب إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه منى السلام وقل له أنك ستمتحن وتدعا إن خلق القرآن فلا تجبهم يرفع

الله لك علما إلى يوم القيامة فقلت البشارة فخلع قميصه الذى يلى جلده فدفعه إلى فأخذته وخرجت إلى مصر وأخذت جواب الكتاب وسلمته إلى الشافعى فقال لى يا ربيع أى شىء دفع إليك فقلت القميص الذى يلى جلده فقال لى الشافعى ليس نفجعك فيه ولكن بله وادفع إلينا الماء حتى نشركك فيه (ومنها) قال الإمام أحمد فى المسند حدثنا عبد الرحمن وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن ياسر قال رأيت النبى ﷺ فى المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه فقلت يارسول الله ما هذا قال دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم قال عمار فحفظنا ذلك فوجدناه قتل ذلك اليوم (ومنها) رأى بعضهم ﷺ فى المنام فذكر له كتاب قوت القلوب لأبى طالب فقال لا تقل قوت القلوب فإن قوت القلوب هو القرآن وقد أنكر طائفة تسمية أبى طالب هذا الاسم (ومنها) قال الحسن بن على رضى الله عنه لا أقاتل بعد رؤيا رأيتها النبى ﷺ واضعا يده على رأسه ورأيت أبا بكر واضعا يده على النبى ﷺ ورأيت عمر واضعا يده على أبى بكر ورأيت عثمان واضعا يده على عمر ورأيت دماءهم فقيل ذا دم عثمان يطلب الله به (ومنها قال أبو زيد المروزى الفقيه الزاهد كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت ﷺ النبى فقال لى يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعى ولا تدرس كتابى فقلت وما كتابك قال جامع محمد بن اسماعيل البخارى وكان أبو زيد يرويه عن الفريدى وهو أجل من رواه عنه .

الفصل الثانى والعشرون

(فى إجتهاد الشيطان على المؤمن عند الموت)

روى أبو داود فى سننه أن إبليس يقول لأعوانه عند الموت عليكم به فإن فاتكم الآن لم تقدروا عليه . وعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحليم من الرجال والنساء

يتحير عند ذلك المصرع ويمتحنون وأن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع ولمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف رواه أبوه نعيم وقال عبد الله بن الإمام أحمد حضرت وفاة أبى وبيدى خرقة لأشد لحييه فكان يغرق ثم يفيق ويقول لا بعد لا بعد فعل هذا مراراً فقلت له يا أبت أى شيء يبدو منك قال فقال الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول فتنى يا أحمد وأنا أقول لا بعد حتى أموت . وقال ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان حدثنا أبو جعفر الكندى حدثنا ابراهيم بن صبيعة الأنصارى عن يحيى بن سعيد قال لما حضرت عمرة أبنة عبد الرحمن الوفاة اجتمع عندها ناس من التابعين منهم عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وأبو سلمة فبينما هم عندها وقد أغمى عليها إذ سمعوا نقيضا من السقف فإذا ثعبان أسود قد سقط كأنه جذع عظيم فاقبل يهوى نحوها إذ سقط رق أبيض فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم من رب كعب إلى عكب ليس لك على بنات الصالحين سبيل فلما نظر إلى الكتاب سما حتى خرج من حيث نزل . وقال ابن أبى الدنيا حدثنى أبى حدثنا أبو خالد القرشى عن سفيان الثورى عن رجل عن عطاء بن يسار قال تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال ما نجوت منك بعد ، وحكى القرطبى فى التذكرة عن شيخ شيخه أحمد بن محمد القرطبى أنه احتضر فقيل له قل لا إله إلا الله فكان يقول لا فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال أتانى شيطان عن يمينى وعن يسارى يقول أحدهما مت يهودياً فانه خير الأديان والآخر يقول مت نصرانيا فانه خير الأديان فكنت أقول لهم لا لا أنى تقولان هذا وقد كتبت بيدى فى كتاب الترمذى والنسائى عن النبى ﷺ أن الشيطان يأتى أحدكم عند موته فيقول مت يهوديا مت نصرانيا فكان الجواب لهما لا لكم. قال القرطبى لم أجد هذا الحديث فى كتاب الترمذى وأما النسائى فهو نسخ فيحتمل أن يكون فى بعضها ، وقال أبو الحسن القابسى فى شرح رسالة ابن أبى زيد روى أن العبد إذا كان عند الموت قعد عند رأسه شيطانان

واحد عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن يمينه على صفة أبيه فيقول له يابنى أنى كنت عليك شفيقا ولك محبا ولكن مت على دين النصرانية فهو خير الأديان والذى على شماله على صفة أمه تقول يابنى أنه كان بطنى لك وعاء وثدىى لك سقاء وفخذى لك وطاء ولكن مت على دين اليهودية وهو خير الأديان انتهى . وقال الغزالى عند ذلك فعند هذا يزيغ الله من يريدزيغه وهو قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا أى لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل ازماناً فاذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتاً جاءته الرحمة أو جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ويقول للمؤمن هؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الحنيفة والشريعة المحمدية فما شىء أحب إلى الإنسان من ذلك الملك وهو قوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وقال بعض العلماء فى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قال بالسابقة وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء يحلف بالله عز وجل ما أحد أمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه (قال منصور بن عمار) إذا مات الإنسان إقتسمه خمسة أشياء المال للوارث واللحم للديدان والعظم للتراب والروح لملك الموت والإيمان بالله أن كان سعيداً أو يخاف على أن يكون إيمانه للشيطان وحدثنى بعض أصحابى لما مرض جاءه الشيطان فى زى يهودى فعرفه فعرض عليه دين اليهودية قال فتعوذت بالله أو كما قال أبو الفرج ابن الجوزى فى صيد الخاطر أوصى نفسى ومن يبلغه كلامى بالثبات عند الموت ولا حول ولا قوة إلا بالله فما يلقى المؤمن شدة تشبهها وأجود للمريض أن يغوص فى سكرات الموت فلا يعقل ونعوذ بالله من الافاقة مع عدم الثبات .

وكان سفيان الثورى يقول أخاف أن أفتن عند الموت ، يشتد الأمر على فأسأل الرفق فلا أعطى فأفتن . ونعم ما قال فان عوارض الفتن هنالك

كثيرة لا تحصى فربما وجد تشوقا إلى الدنيا وانزعج لفراق محبوب او ضعف عن حمل البلاء أو عرض الفتن فمال الإنسان عن التوحيد أو أعرض عن المالك فالله الله إذا نزل بك الموت فلا يكون لك هم إلا فى تهذيب الاعتقاد والاستغفار من الذنوب والتوبة من الخطايا لعلك تلقاه نظيفاً . (وقد كان الجنيد) يقرأ إلى أن مات فقيل له أرفق بنفسك فقال الآن تطوى صحيفتى (وتوفى شيخ الإسلام ابن تيمية) وهو يقرأ عند الموت إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (قال) وحكى عن بعض المشايخ أنه احتضر وهو يقرأ فى قوله تعالى فى سوره يس « ءأتخذ من دونه آلهة إن يردنى الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون إنى إذا لفى ضلال مبين » ثم توفى فخاف عليه تلامذته ثم دفنوه فخاف عليه بعض تلامذته فنام عند قبره فسمع كلام منكر ونكير وهما يقولان له من ربك فقال تمام الآية « إنى آمنت بربكم فاسمعون » فقال الملكان « قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » . (قال محمد بن ثابت البنانى) ذهبت ألقن أبى وهو فى الموت فقلت يا أبت قل لا إله إلا الله فقال يابنى خذ عنى فانى فى وردى السادس أو السابع . (ووجدت) حاشية بخط الوالد أبى المنصف قال سبط الجوزى كان آخر ما تكلم به الشيخ أبو عمرو رضى الله عنه « إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (قلت) وكذا كان والدى رحمه الله وأنا جالس عنده فقرأ سوره يس فكان يقرأ معنا همهمة منه بعض الآت إلى أن فاضت نفسه .

(وقد ذكر) النسائى وغيره فى دعاء النبى ﷺ اللهم إنى أعوذ بك من الغرق والحرق وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت (وفى سنن أبى داود) كان النبى ﷺ يقول اللهم إنى أعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من الهدم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت مرض أبو قلابة بالشام فأتاه عمر بن عبد العزيز يعوده فقال يا أبا قلابة تشدد ولا تشمت بنا

المنافقين (قال محمد بن يزيد خنيس) حلف وهيب بن الورد أن لا يراه الله ضاحكا ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتى به رسل الله قال فسمعوه عند الموت يقول وفيت لى ولم أوف لك (وقال علقمة بن مرثد) كان الأسود بن يزيد يقوم حتى يصفر ويخضر فلما احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع فقال مالى لا أجزع والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمنى الحياء منه بما قد صنعت أن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحييا منه ولقد حج ثمانين حجة (وقال أبو بكر بن عياش) دخلت على عاصم وقد احتضر فجعلت أسمعه يردد هذه الآية يحققها كأنه فى المحراب ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين .

(وقال أهل التاريخ) كان آخر ما تكلم به أبو بكر الصديق رضى الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما أوردك لسانك قال أوردنى لسانى الجنة بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . (لما كان أبو يزيد البسطامى فى مرضه الذى مات فيه بكى شديداً ثم ضحك فقيل له لم بكيت ثم ضحكت فقال أتانى إبليس قال يا أبا يزيد تموت وتخلص من شبكتى فبكيت فأتانى ملك من الله فبشرنى بالجنة فضحكت . (عن أنس رضى الله عنه) قال قال رسول الله ﷺ يقوم من باب الميت صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار فيصيح إبليس عند ذلك صيحة يتصدع منها عظام جسده ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون هذا كان معصوما ، رواه أبو يعلى الموصلى فى حديث طويل (قال سفيان) إن الشيطان أشد بكاء على الميت المؤمن إذا مات من بعض أهله لما فاته من افتتانه إياه فى دنياه ذكره ابن أبى الدنيا .

(فان قيل) هذا كله يدل على أن الشيطان بعد موت المؤمن لا سبيل له عليه بعد ذلك وقد انقطع تسلطه على المؤمن . (وقد ورد) أن النبى ﷺ قال وقد أخذ فى تسوية اللحد اللهم أجره من الشيطان . وهذا يدل على أن

العدو لا ينقطع طمعه عن المؤمن بالموت. (وقال عمر بن مرة) كانوا يستحبون إذا وضع الميت فى القبر أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم (قال سفيان) إذا سئل الميت من ربك تزيى له الشيطان صورة فيشير إلى نفسه إنى أنا ربك فعلمنا أن للشيطان هناك سبيلا .

الفصل الثالث والعشرون

فيما أعد لأبليس فى جهنم ورجائه المغفرة

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على جانبيه ويسحبها من خلفه وذريته بعده وهو ينادى ياثبوراه وينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول ياثبورهم ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وعن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة الفاجر فى دينه الأحمق فى معيشته والذى نفسى بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه . رواه الطبرانى من رواية سعد بن غيلان وهو مجهول وقد سبق فى الفصل التاسع عشر أن إبليس يصلى وأنه قال إنى لأرجو من ربى إذا إبر قسمه أن يغفر لى (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) قال رسول الله ﷺ إذا طلعت الشمس من مغربها خر ابليس ساجداً ينادى ويجهر إلهى مرنى أن أسجد لمن شئت قال فيجتمع إليه زبانيته فيقولون يا سيدهم ما هذا التضرع فيقول إنما سألت ربى أن ينظرنى إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال ثم تخرج دابة الأرض من الصفا من صدع فى الصفا قال فأول خطوة تضعها بأنطاكية فتأتى ابليس فتلطمه . رواه الطبرانى باسناد ضعيف .

(قال سفيان بن عيينة) لما نزلت هذه الآية ، ورحمتى وسعت كل شىء مد إبليس عنقه وقال أنا من الشىء فنزلت « فسأكتبها للذين يتقون

ويؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون » مدت اليهود والنصارى أعناقهم وقالوا نحن نؤمن بالآيات وتؤدى الزكاة فخلصها الله تعالى من ابليس واليهود والنصارى فجعلها الله لهذه الأمة خاصة فقال « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى » الآية . وهذا دليل على أن ابليس عارف بالله كما نص عليه الإمام أحمد واحتج بقوله تعالى « قال رب بما أغويتنى » . (وقال اسحق) لم يكن عارفا بالله ومن زعم أنه عارف بالله فقد كفر ولم يبلغه كلام أحمد ولم يبلغ أحمد كلام اسحق . والتحقيق أنه عارف بالله فى الجملة ويعرف وجود الصانع وقدرته لكن نسبة إلى النقص فى الجملة وهو جهل منه بما يجوز على الله ويمتنع عليه فهو عارف بالله من وجه ، كما قال الإمام أحمد غير عارف بالله معرفة مطلقة كما قال اسحق .

(قال الحكم بن اسحق) بلغنا أن الله تعالى ينزل مع المطر الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت رواه ابن جرير فى قوله وما ننزله إلا بقدر معلوم . (وعن أنس رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أن جبريل حدثه قال كل قطرة مطر تنزل من السماء موكل بها ملك من الملائكة يضعها موضعها ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تم والحمد لله رب العالمين)

الفهرس

صحيفة

٦ الفصل الأول فى الإستعاذة وأحكامها .

٢١ الفصل الثانى فى وسوسة الشيطان للأبوين .

٤٧ الفصل الثالث هل للشيطان سلطان على بنى آدم أم لا .

٥٢ الفصل الرابع فى التحصن من الشيطان بذكر الله تعالى .

٦٢ الفصل الخامس فى عقد الشيطان على قافية ابن آدم كل ليلة .

٦٦ الفصل السادس فى أكل الشيطان وقيئه وبوله .

٦٩ الفصل السابع فى عقبات الشيطان السبع وقصة برصيص العابد وفيه الكلام على حديث من خلق .

٨١ الفصل الثامن فى بكاء الشيطان .

٨٢ الفصل التاسع فى رنة الشيطان وندائه ليلة البيعة للعقبة وتصوره بصورة شيخ نجدى فى وقت الهجرة والكلام على قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم .

٩٠ الفصل العاشر فى أحقر أوقات الشيطان ودعائه على نفسه بالويل والثبور .

٩٣ الفصل الحادى عشر جرى الشيطان من ابن آدم مجرى الدم .

١٠١ الفصل الثانى عشر هرب الشيطان من الأذان ووسوسته للمصلين من المسلمين .

١١٠ الفصل الثالث عشر مبيت الشيطان على خياشيم ابن آدم .

١١١ الفصل الرابع عشر فى نصب الشيطان عرشه على الماء وارساله سراياه .

١١٢ الفصل الخامس عشر فى ذكر شياطين العبادات من الصلاة والوضوء والصوم .

١١٨ الفصل السادس عشر فى راية الشيطان .

صحيفة

١٢٠ الفصل السابع عشر فى تصفيد الشيطان فى شهر رمضان .

١٢٢ الفصل الثامن عشر فى حضور الشيطان عند النبى ﷺ وفراره من عمر رضى الله عنه .

١٢٨ الفصل التاسع عشر فى كلام الأنبياء عليهم السلام للشيطان .

١٣٥ الفصل العشرون مم خلق الشيطان وهل هو من الملائكة أم لا .

١٤١ الفصل الحادي والعشرون فى تحزينه لابن آدم فى المنام برؤيا سيئة . وفيه رؤيا النبى ﷺ فى المنام وإن الشيطان لا يتمثل به .

١٤٩ الفصل الثانى والعشرون فى اجتهاد الشيطان على المؤمن عند الموت .

١٥٤ الفصل الثالث والعشرون فيما أعد لإبليس فى جهنم ورجائه المغفرة .

دار مرجان للطباعة
٢١ شارع فهمى المتفرع من شارع الموازدى بالقصر العينى
تليفون : ٩٨٦٥٥٣

رقم الايداع ٥٧٠٤ / ١٩٨٠
الترقيم الدولى ٩٧٧ ISBN